الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

شعريـة الماء عند خليـل مطران

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين:
*- **مطـمـــط ســارة**
*- **لبيــوض حسينـة**

إشراف الأستاذ(ة):
بولحـــواش سعـــاد

السنة الجامعية: **2015/2014**

دعـــاء

قال الله تعالى

" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"

اللهم ارزقنا توفيق الطاعة بعد المعصية، وصدق النية وأكرمنا بالهدى والاستقامة وسدد ألسنتنا بالصواب والحكمة واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، اللهم تفضل على علمائنا بالزهد والنصيحة وعلى المتعلمين بالجهد والرغبة والمستعملين بالإتباع والموعظة.

يا رب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس إذا فشلت بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح

يا رب إذا أعطيتني نجاحا لا تفقدني تواضعي وإذا أعطيتني تواضعا لا تفقدني اعتزازي بكرامتي

تشكر

الحمد لله الذي أتم علينا نعمة العقل والتمييز بين الخطأ والصواب حمدا وشكرا ينبغي لجلال وجهه العظيم وسلطانه والصلاة والسلام على أشرف خلق الله على الهادي البشير خير الأنبياء سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم

أما بعد...

نتوجه بالشكر والتقدير والعرفان إلى من بسط لنا يد العون والمساعدة الأستاذة

" بولحواش سعاد "

التي كانت لا تبخل علينا بتوجيهاتها القيمة وتشجيعاتها القوية ومساعدتها التي كانت لنا دعما قويا طيلة إنجاز هذا البحث.

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى سبب وجودي في هذه الحياة إلى من جعل الله الجنة تحت قدميها وسهرت الليالي من أجلنا أمي العزيزة والغالية على روحي " فطيمة " وإلى من كان معي في دربي وأوصلني إلى هذه المرتبة من النجاح أبي " صالح "

إلى إخوتي: مختار، رضوان، عبد العالي، وتوأمي الغالي والعزيز حسين.

إلى أخواتي: عليمة، نعيمة، سميرة، نورة ومنال

إلى أزواج أخواتي: ميلود، رابح ولمين

إلى زوجات إخوتي: فريدة وفتيحة

إلى كتاكيت وعصافير العائلة " محمد، مهدي، إسراء، مريم، رانيا، أسملء، فطيمة الزهراء، شيماء "

إلى صديقتي وحبيبتي وشريكة جهدي " سارة "

إلى صديقات الجامعة: ريمة، صورية و أمال

إلى صديقات الثانوية: ليلى وحورية

إلى ابنة عمي رقية وابنة خالي صورية

وإلى كل من نسيهم قلمي وتذكرهم قلبي

حسينة

إهـــــداء

الحمد لله الذي به نستعين ونتوكل والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.....

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى من سهرت الليالي وضحت وناضلت من أجل راحتي وكانت ينبوع الحنان والعطف أمي الغالية "عائشة " التي وإن كتبت كتابا عنها لن أوفيها حقها

إلى أبي الحنون الصبور " عمار " الذي اعتبرته قدوتي في هذه الحياة لأنه كان وما زال رمزا للتضحية والنضال

إلى أخي العزيز " رياض " الذي لم يبخل بشيء من أجل مساعدتي في الدراسة وغير ذلك

إلى أختي العزيزة " صفية " التي ساعدتني بتوجيهاتها وإرشاداتها

إلى أختي الغالية " حنان " التي تحملت كل ما بدر مني طوال هذا العام بل ساعدتني ووجهتني

إلى أخي الغالي "فاروق" الذي لم يدخر جهدا في مساعدتي خاصة في البحث عن المصادر والمراجع والذي أتعبته كثيرا

إلى حبيبا قلبي وروحي واللذان أحبهما أكثر من نفسي " بهاء الدين " و " أريج "

إلى رفيقة دربي وطريقي " حسينة " والتي كانت حقا رمز الصداقة الحقة.

إلى زوجة أخي المستقبلية "صورية"

وصديقتي الحنونة واللطيفة "ريمة"

سارة

مقدمة

مقدمة

يعد خليل مطران من الشعراء العرب الكبار، ومن أهم رواد الشعر العربي الحديث، فكان أول أمره من دعاء اتجاه التقليد في الأدب ولم يعلن وقوفه ضد النظام على المنوال القديم بل أعلن في صراحة أنه سينظم مثله غير أنه سرعان ما أحس بقصور الصورة الشعرية القديمة عن إيصال لواعجه وعواطفه و أحاسيسه فسعى إلى التجديد من خلال نقله للقصيدة العربية من منحى الكلاسيكية إلى منحى الرومنسية.

فقد ناضل في قصائده ولعب دورا في تطويرها، فكان ذلك الشاعر المواطن النبيل الشريف الذي يكافح في سبيل مستقبل أفضل للأمة حاملا عالمه الخاص ومشكلاته وهمومه ورؤيته، ما جعله وجهة وقبلة لاهتمام العديد من الباحثين والدارسين، أين تناولوا شعره من زوايا عديدة ومختلفة ومع ذلك فإن شعره لا يزال كاسر المرحى، يفيض بالرؤى ويفتح آفاقا جديدة أمام كل باحث في الإبداع الشعري، ومن هذه الرؤى ذات المجال الخصب والمهم في حركة الشعر العربي الحديث "شعرية الماء عند خليل مطران" فهي لا تزال ميدانا خصبا في حاجة إلى دراسة عميقة ومستفيضة تربط بين موقف الشاعر خليل مطران من توظيفه للفظة الماء وعلاقتها بالموقف الكلي من المجتمع والحياة.

من هنا انبعثت الرغبة في اختيار هذا الموضوع ومحاولة الإلمام ببعض جوانبه. لذلك في حضرت في أذهاننا مجموعة من الإشكاليات ولعل أهمها: ما المقصود بالشعرية؟ وكيف برزت في شعر خليل مطران من خلال توظيف عنصر الماء؟ وما هي أهم الدلالات التي ارتبطت بالماء؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية المطروحة اقتضت الضرورة وغاية البحث تقسيم الدراسة إلى مقدمة مع تمهيد وفصلين وخاتمة .

ففي الفصل الأول تناولنا أهم مفاهيم الشعرية عند الغرب والعرب قديما وحديثا ثم الحديث عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي عاصرها خليل مطران مع أهم الموضوعات و القضايا التي عالجها في قصائده الشعرية.

أما الفصل الثاني فقد خصص للحديث عن الرمز وأنواعه ثم الحديث عن رمزية الماء ودلالته في القصيدة العربية عند القدامى والمحدثين والمعاصرين، ثم الانتقال إلى أهم القصائد الشعرية التي وظف فيها خليل مطران عنصر الماء مع شرحها وفي الأخير فقد كان حديثنا عن تجليات لفظة الماء وأهم صفاتها ومعانيها ودلالاتها في شعر خليل مطران.

وأخيرا أكملنا بحثنا بخاتمة عامة كانت حوصلة لما جاء في البحث ككل وقد اقتضت طبيعة بحثنا انتهاج المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب لإشكالية البحث وخطته.

ولتحقيق كل الأهداف المنشودة التي رسمناها في خطة بحثنا اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع من بينها: مفاهيم الشعرية لمحمود درابسة و حميد حماموش بكتابه آليات الشعرية بالإضافة كتابه الأدب العربي الحديث لسامي يوسف أبو زيد وكتاب لأحمد عبد المعطي حجازي بعنوان خليل مطران قصائد اختارها وقدم لها. وأهم مصدر وهو ديوان خليل مطران (الجزء الثالث).

أما الصعوبات فقد جرت العادة أن يتطرق الباحثون إلى تعدادها أثناء البحث وكأنهم لم يكونوا يتوقعوها عند بداية البحث، إذ من المفروض في نظرهم أن يتم البحث دون صعوبات أو عراقيل.

ونحن هنا لا نذكر الصعوبات لأننا لا نعتبرها صعوبات أو مشكلات ولكن نعتبرها جزء من عملية البحث، وقد تعتبر الجزء الأساسي فيه ولولاها لما كان لعملية البحث أهمية ومتعة.

وفي الأخير لا يسعنا في هذا السبيل إلا أن نتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذة "بولحواش سعاد" التي كانت مشرفة على هذا البحث وعلى ملاحظاتها القيمة وتوجيهاتها العلمية خلال إعداد هذا البحث وحثها وتشجيعها المتواصلين.

ونحمد الله سبحانه عز وجل أن أعاننا على إكمال بحثنا ونسأل الله تعالى أن يكون هذا ابحث بوابة ومنفذا لدراسات أخرى لاحقة، فما كان فيه هدى وصواب فمن الله تعالى وما كان فيه من لغو وإساءة فمن أنفسنا ومن الشيطان.

تمهيد:

إن مطـران أنقـى صـوت مـن ذلـك الجيـل الأول الـذي اعتنـق الفكـرة العربيـة وجعلها إيمانـا يعلـو عـن كـل إيمـان ومطـران مـن شـعراء هـذه الفكـرة هـو الـذي كـان فنـه وكانـت حياتـه تعبيـرا نموذجيـا عـن إيمانـه فهـو الـذي تقطـر الوداعـة مـن ملامـح وجهـه وأطـراف أصـابعه وأبيـات شـعره هـو أعلـى الأصـوات فـي جيلـه وأكثرهـا نـبلا وكبريـاء فـي الـدفاع عـن الحريـة ومقاومـة الاسـتبداد والاسـتهانة بالمسـتبدين لأنـه أكثـر شـعراء جيلـه انشـغالا بقضـية تجديـد الشـعر العربـي وأوضـحهم فكـرا حـول وسـائل هـذا التجديـد وغايتـه، كـان أيضـا مـن أكثـر شـعراء جيلـه انشـغالا بقضـية المحافظـة علـى أصـالة هـذا الشعر وتقوية الأواصر بين المحاولات الجديدة وبين تراثنا الشعري الشامخ.

أ- التعريف بالشاعر خليل مطران:

خليـل مطـران مـن أبـرز الأدبـاء الـذين قـدموا مـن سـوريا ولبنـان فـي أواخـر القـرن التاسـع عشـر إلـى مصـر، واتخـذوها موطنـا لهـم، لـذا أطلـق عليـه " شـاعر القطـرين " أي لبنان ومصر.

وتعـود جـذوره إلـى أصـول عربيـة يمنيـة فحـين أهدتـه السـيدة " هـدى شـعراوي " عباءة عربية مقصبة ، خاطبها بأبيات منها قوله:

ألا يـا بنـي غسّان من وُلد يعـرب وأجـدادكم أجـدادي العظمـاء[1]

ولـد مطـران فـي " بعلبـك " فـي أواخـر تمـوز "يوليـو" مـن عـام 1872 م ودرس فـي زحلـة، ثـم فـي الكليـة " البطريركيـة " فـي بيـروت حيـث تتلمـذ علـى يـدي " خليـل و إبراهيم اليازجي "، وأتقن اللغة الفرنسية.

[1] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث (الشعر)، دار الميسرة، عمان، ط1، 2014، ص 56 .

ونظم في بداية مسيرته الشعرية قصيدة بعنوان " 1806-1870 " تدور حول الحرب بين فرنسا وألمانيا، يستشف منها عداؤه للدولة العثمانية التي لم تتوان عن مساءلته، والتهديد باغتياله، فغادر بيروت نحو الإسكندرية ومنها غادر إلى باريس حيث اطلع على أدب الرومنسيين ولاسيما أدب " ألفرد دي موسه " و " شكسبير " واتصل بأعضاء حزب " تركيا الفتاة " المناهض للدولة العثمانية مما أثار السفارة العثمانية عليه، فأخذت السلطات الفرنسية تضيق عليه، وعزم على الهجرة إلى شيلي بأمريكا الجنوبية، لكنه آثر العودة إلى مصر ونزل بالإسكندرية في سنة 1892 م.

وعرف مطران في مصر بالشعر، وبأنه كاتب صحفي، إذ عمل في صحيفة " الأهرام " التي أسسها " سليم تقلا " أستاذه السابق، وكان في من خرجوا لتشييع جنازته ورثاه بقصيدة نالت الاستحسان، وظل يعمل مراسلا للأهرام حتى صيف 1899 م.

تعرف مطران إلى فتاة أجنبية وولع بها، ثم فجع بوفاتها، إثر إصابتها بداء عضال، فلم يتزوج بعدها وظل يذكرها طوال حياته، ولم يلبث أن تحول إلى التجارة لكنه أصيب بنكسة أودت بكل ما كان يملكه، فحزن واعتزل الناس بحي " عين شمس " وقد صور حالته النفسية هذه في قصيدة سماها " ساعة يأس " عرفت بين الناس باسم " الأسد الباكي "

إلى عين شمس قد لجأت وحاجتي طلاقة جوّ لم يدنس بأرجاس. [1]

ولكن أحواله المادية تحسنت بتعيينه سكرتيرا بالجمعية الزراعية الملكية.

لقي مطران تكريما في حياته فاحتفل به في " الجامعة المصرية الأهلية " سنة 1913 م، وأنعم عليه " الخذيوي عباس حلمي الثاني " بوسام، وأقيمت له

[1] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث (الشعر)، ص 56 .

احتفالات في سوريا ولبنان في عام 1942 م وفي عام 1934 م، وقد عين رئيسا للفرقة القومية للتمثيل المسرحي ونال وسام الاستحقاق اللبناني عام 1945 م.

وأقيم له مهرجان بدار الأوبرا في القاهرة في 29 مارس من سنة 1947 م، اشترك فيه عدد من رجالات العرب وأدبائهم وألقيت قصائد وكلمات في الثناء عليه، وأطلق عليه " شاعر الأقطار العربية " وردّ على المحتفين به بقصيدة سماها " الشاعر يوقع على وتره الأخير " إذ يقول:

ماذا يريد الشعر مني؟ أحنى عليه علوّ سنّي

خدمت بي النار التي رفعت بعين العصر شاني

هي شعلة كانت تنير قريحتي وتنير ذهني [1]

تجمعت عليه الأمراض فمات بالنقرس والربو وكانت وفاته في 30 حزيران 1979م ثم نقل رفاته سنة 1966 م إلى مسقط رأسه في لبنان.

لمطران آثار متعددة منها ديوان الخليل مع ترجمته لبعض المسرحيات منها " عطيل " و " مكبث " و " هملت " و " تاجر البندقية " لوليام شكسبير و " السيد " للورناي و " هرناي " لفكتورهيجو [2]

وقد كان مطران في شعره مجددا مقلدا في ذات الوقت، كأنما وهو يكتب على رأسه ملكان يحاسبانه حسابا عسيرا فملاك أرعن متمرد يغريه بالبديع الغريب، وملاك عاقل محافظ يرده إلى الأصول والتقاليد وهو بينهما حائر قد يترك لهما القلم فيفسد كل منهما عمل الآخر، أو يقتسمان الصحيفة، وكذلك كان في الحياة يهجو الاستبداد ويجامل بعض المستبدين، أمين على فكرته محافظ على علاقاته

[1] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث (الشعر)، ص 56 .

[2] المرجع نفسه، ص 57 .

الاجتماعية، راهب لا يتزوج، وعاشق يتفطر قلبه غراما وهياما، شاعر ورجل أعمال يعرف الربح والخسارة، وكهل في الخامسة والأربعين يحن على الضعفاء والمساكين ويقول " طه حسين " عن هذا الشاعر: « كذلك كانت الحال بيني وبين مطران أعجبت بشعره أول الأمر ثم فتنت بخلقه فتونا، وشغلت بالرجل عن الشاعر والذين عرفوا مطران من قريب أو بعيد يشاركوني هذا الرأي ما في ذلك شك، فقد كان مطران أدبيا يعيش للأدب ولا يعيش بالأدب، وهو من أجل ذلك كان يعمل ليكسب المال لا لنفسه فقد كان أيسر شيء يُغنيه ويقنعه ولكن كثيرين من الناس كانوا يلوذون ويقرعون إليه ويعتمدون عليه » [1]

ويقول مطران عن نفسه: « في المعاودة وحدها تاريخ تكوين شخصيتي فقد كان هناك عاملان يفعلان في نفسي: شدة الحساسية ومحاسبة النفس، ومن هذين العاملين خلصت بتكوين نفسي على نمط خاص » [2]

ب- المؤلفات الشعرية عند خليل مطران:

كان سجل خليل مطران حافلا بالعديد من الروائع الشعرية والتي كان لها وقعها الخاص على الساحة الأدبية نذكر منها:

* الأهرام: والتي كتبها خليل إثر زيارته أهرام سقارة.

* المساء: قالها الشاعر وهو عليل في مسكن الإسكندرية.

- رثاء المغفور له: الوزير الفارس الشاعر محمود باشا سامي البارودي.

* شعر منثور (كلمات آسف): أنشدت في حفلة تأبين للمرحوم الشيخ إبراهيم اليازجي.

---

[1] أحمد عبد المعطي حجازي : خليل مطران ، قصائد اختارها وقدم لها، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 2009، ص 5.

[2] المرجع نفسه، ص 6 .

* مقاطعة: نظمها لما بدأ اضطهاد الأحرار وسلط قانون المطبوعات على الأفكار.

* تهديد بالنفي: أهديت أبيات هذه القصيدة إلى رئيس الوزارة حيث توعد الشاعر بالنفي من مصر.

* العزلة في الصحراء: خير من العيش في المدينة.

* عتب: على أحرار مصر في موقف تردد.

* فريد في السجن.

* عيد ميلاد: نظمها الشاعر وقد ناهز الخامسة والأربعين من عمره في ليلة تجنب فيها رينات المدينة وحفلاتها وخلا في غرفته.

* في الغابة: صورة خيالية لشاعر ينتقل في غابة مرتفعة باحثا عن زهرة غير موجودة.

* صرح على النيل.

* هذا الديوان.

* نيرون: والتي قالها الشاعر في حفلة جمعية تنشيط اللغة العربية بالجامعة الأمريكية.

* آفات الضغائن.

* التحول الدائم.

* الطفلة العابرة.

* حيفا.

* الشيب قبل أوانه.

* صورة سعد.

* وقفة في المساء.

* هو أنت.

* مرآة الأيام: كتبها سنة 1906 م في التاريخ العام وهو في جزئين.

* حكاية عاشقين: وفيه سب مطران تاريخ حبه.

* الأسد الباكي.

* مقتل بزر جمر.

* فتاة الجيل الأسود.

* الجنين الشهيد: كتبها في 1903 م ولم تنشر إلى غاية 1905 م وفيها 289 بيت.

* فنجان قهوة.

الفصل الأول

الشعرية مفاهيم و مصطلحات

أولا: مفهوم الشعرية:

أ- مفهوم الشعرية عند النقاد الغربيين:

إن توظيف مفهوم الشعرية عند الغرب قد بدأ مع الشكلانيين الروس، إذ انطلقت الشرارة الأولى للبحث في قوانين الأدب أو شعريته مع الناقد الشكلاني " رومان جاكسون " الذي كان يعارض دراسة الأدب من الخارج ومن ثم أطلق الصرخة الأولى في بناء صرح الشعرية. [1]

1- رومان جاكسون: إن الشعرية عنده مرتبطة بعلم اللسانيات معتبرا أن مجال الشعرية هو الاستعمال الخاص للغة بحيث تخرج الكلمات فيها عن دلالتها لتؤدي دورا يضفي على العملية الشعرية قيمة فنية وجمالية، يقول " فإنه يمكن اعتبار الشعرية جزءا لا يتجزأ من اللسانيات " [2]

ولذا فإن كل بحث في مجال الشعرية يفترض معرفة أولية بالدراسة العلمية للغة ذلك لأن الشعر فن لفظي وإذن فهو يستلزم قبل كل شيء استعمالا خاصا للغة.

كما أن تركيزه على وضع علم للأدب عبر ما سماه بالشعرية جعله يلغي من حسبان الدراسات الأدبية كل ما ليس له علاقة بالبنيات اللسانية في النصوص ويقول موضحا ذلك الاهتمام إلى الأدبية في هذه النصوص ويقول موضحا ذلك:

---

[1] حميد حماموش وأحمد العلوي العبدلاوي: آليات الشعرية بيت التأصيل والتحديث، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013، ص 12.

[2] محمود درابسة: مفاهيم الشعرية، دار جرير، الأردن، ط1، 2010، ص 27.

" ليس الأدب هو موضوع علم الأدب بل موضوعه هو الأدبية أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا" [1]

إذن فالشعرية عند جاكسون هي البحث في أدبية الأدب، ومحاولة علمنته وعزله عن الذاتية والانطباعية حيث حدد موضوعها على أساس اجرائي يقوم على التمييز بين الأدبي واللاأدبي، بين اللغة الشعرية واللغة اليومية، وهي كذلك تبحث في ماهية الأدب وخصوصيته. [2]

2- تزفيطان تودوروف: وهو أحد أعلام التيار البنيوي الذين نشأوا مع جاكسون داخل خيمة الشكلية الروسية وأحد أهم المنظرين الذين اهتموا بموضوع الشعرية والتي يعرفها بأنها مجموعة الخصائص التي تجعل من العمل الأدبي عملا أدبيا جماليا وتعطيه الفرادة والتميز. [3] ،

وأن موضوع الشعرية ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي، فهي عنده ليست نظرة ضيقة لنص واحد في عصر واحد وسياق واحد، بل إنها أكبر من ذلك فهي تبعث في الأدب باعتباره نسقا وسيرورة تهتم بالآثار المفترضة، كما تهتم بالآثار الموجودة بالفعل فهي إذن في نظره: " علم الأدب الممكن، وبعبارة أخرى يعني تلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي أي الأدبية " [4] ، وهي مقاربة للأدب مجردة وباطنية في الآن نفسه تتعلق بالأدب كله سواء كان منظوما أم لا، بل تكاد تكون متعلقة على الخصوص بأعمال نثرية.

---

[1] حميد حماموش: آليات الشعرية بيت التأصيل والتحديث، ص 13.

[2] المرجع نفسه، ص نفسها.

[3] محمود درابسة: مفاهيم في الشعرية، ص 26.

[4] حميد حماموش: آليات الشعرية بيت التأصيل والتحديث، ص 15.

ولهذا يمكن القول بأن رؤية تودوروف حول مفهوم الشعرية تتلخص في الآتي:

* كل نظرية داخلية للأدب.

* يستخدم في اختيار المؤلف ضمن كل الإمكانيات الأدبية الممكنة في النظام الموضوعاتي وفي التأليف وفي الأسلوب.

* يحيل على القوانين المعيارية المؤسسة من لدن مدرسة أدبية ما وهي مجموعة من القواعد التطبيقية التي ينبغي التقيد بها أثناء الممارسة الفنية. [1]

3- جيرار جنيت: يعتبر جنيت الشعرية نظرية عامة للأشكال الأدبية موضوعها ليس هو النص باعتبار خصوصيته وتميزه فهذا من عمل النقد، بل موضوعها هو جامع النص، أو إذا فضلنا النصية الجامعة للنص وهو تقريبا بنفس معنى أدبية الأدب بمعنى مجمل الأصناف العامة أو المتعاليات – أنواع الخطاب وطرق التلفظ وأنواع أدبية – التي تجعل أي نص متميز، وعلى الرغم من تركيزه على مفهوم المتعاليات النصية وجعلها مميزة للنص الأدبي عن غيره من النصوص، فإنه يتفق مع من سبق ذكرهم في كون الشعرية تبحث في أدبية الأدب وموضوعها الأول هو دراسة الإجراءات اللغوية التي تضفي خصوصية على اللغة الأدبية. [2]

ب – مفهوم الشعرية عند النقاد العرب:

1- الشعرية عند النقاد العرب القدامى:

إن إشكالية مصطلح الشعرية تبدو صغيرة في نقدنا العربي ربما النقد الغربي يكون متجاوزا إلى حد ما لهذه الإشكالية منذ أرسطو حيث سمى كتابه Poeiks أي

[1] حميد حماموش: آليات الشعرية بيت التأصيل والتحديث، ص 15.

[2] المرجع نفسه، ص 17 .

فن الشعر أو في الشعرية كما هو شائع الآن في النقد الغربي، وقد جاءت من بعده محاولات تحمل المصطلح نفسه أما في تراثنا النقدي العربي فقد جاءت مصطلحات مختلفة ربما تواجه المصطلح نفسه، إلا أن مفهومها مختلف عما تعنيه الشعرية بمعناها العام.

1 -1- الشعرية عند ابن سينا 428 هـ:

يقول: " السبب المولد للشعر في قوة الإنسان شيئان: أحدهما الالتذاذ بالمحاكاة (...) والسبب الثاني حب الناس للتأليف المتفق والألحان طبعا ثم وجذت الأوزان مناسبة للألحان فمالت إليها الأنفس وأوجدتها فمن هاتين العلتين تولدت الشعرية وجعلت تنمو يسيرا يسيرا تابعة للطباع وأكثر تولدها عن المطبوعين الذين يرتجلون الشعر طبعا وانبعثت الشعرية منهم بحسب غريزة كل واحد منهم قريحته في خاصته وبحسب خلقه وعادته" [1]

* من خلال قول ابن سينا نلتمس أن الالتذاذ بالمحاكاة وحب الناس للتأليف هما سببا حدوث الشعرية فالشعرية عنده مرتبطة بالجانب النفسي وبغريزة الإنسان والتي تسمح له بتحقيق المحاكاة وتناسب تلك المتعة.

1- 2- الشعرية عند ابن رشد:

حيث ينقل عن قول أرسطو: " وكثيرا ما يوجد من الأقاويل التي تسمى أشعارا ما ليس فيها من معنى الشعرية إلا الوزن فقط كأقاويل سقراط الموزونة وأقاويل أنباقليس في الطبيعيات بخلاف الأمر في أشعار أوميروش " [2]

[1] حسن ناظم: مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994، ص 12

[2] المرجع نفسه، ص نفسها.

* من خلال قول ابن رشد في تعريفه للشعرية نجدها تختلف عن تعريف ابن سينا فهو يرى أن جميع الأقاويل والتي تعتبر أشعار يكون فيها الوزن هو الشعرية وبالتالي فالشعرية عند ابن رشد الأدوات التي توظف في الشعر أي الوزن.

1-3- الشعرية عند حازم القرطجني 684 هـ:

يعرف حازم القرطجني الشعرية في معرض مناقشته: " وكذلك ظن هذا أن الشعرية في الشعر إنما هي نظم أي لفظ كيف اتفق نظمه وتضمينه أي غرض اتفق على أي صفة اتفق لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم موضوع " [1]

* إن معنى الشعرية عند القرطجني يقترب إلى معناها الحالي وفي نفس الوقت تختلف عما هي عليه عند كل من ابن سينا وابن رشد فهو يرى أن الشعرية ليست نظم الألفاظ والمفردات والأغراض في الشعر وإنما تكون في القوانين التي يقوم عليها النص الأدبي وكذا المواضيع المرسومة عليه والتي تجعله نصا شعريا، ومنه نلاحظ أن القرطجني كان المرجعية الأكيدة في الشعريات الحديثة.

2- مفهوم الشعرية عند العرب المحدثين:

2-1- أدونيس: إن الشعرية عند أدونيس هي تلك اللغة المجازية التي تتجسد في النص الأدبي، بحيث تجعله نصا متعدد التأويلات والاحتمالات وذلك نتيجة الغموض الفني الذي يتجسد فيه.

يقول: " فالجمالية الشعرية تكمن بالأحرى في النص الغامض المتشابه أي الذي يحتمل تأويلات مختلفة ومعاني متعددة". [2]

---

[1] حسن ناظم: مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج، ص 13 .

[2] محمود درابسة: مفاهيم في الشعرية، ص 24.

فقد عد أدونيس المجاز هو السر الحقيقي للشعرية، حيث يمنح المجاز للنص الأدبي احتمالات التأويل المتعدد.

ولا يختلف مفهوم الشعرية عند أدونيس عنه عند عبد الله الغدامي فقد وصف هذا الأخير الشعرية بالشاعرية وهي فنيات التحول الأسلوبي، إذ أن النص ومن خلال قيامه على المجاز والاستعارة والرمز يصبح نصا شعريا، وبذلك تصبح وظيفة الشعرية وميزتها هي الانحراف عن اللغة العادية إلى اللغة الفنية.

يقول: " والشاعرية هي فنيات التحول الاسلوبي، وهي استعارة النص كتطور لاستعارة الجملة، حيث ينحرف عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي". [1]

2-2- حسن ناظم: الشعرية عنده هي مجمل النص الأدبي كله، من حيث بنيته الفكرية والفنية، فهي مجموعة الخصائص العامة والمميزة للنص الأدبي من خطابات وصيغ التعبير وغيرها، حيث يقول: " ليس النص هو موضوع الشعرية، بل جامع النص أي مجموع الخصائص العامة أو المتعالية التي ينتمي إليها كل نص على حدى ونذكر من بين هذه الأنواع: أصناف الخطابات، وصيغ التعبير والأجناس الأدبية". [2]

ثانيا: الظروف الاجتماعية والسياسية التي عاصرها خليل مطران:

تزامن عصر خليل مطران مع عصر يمر فيه الوطن العربي بأحداث وأزمات سياسية واجتماعية متعاقبة كان لها أثر كبير في شعره.

[1] محمود درابسة: مفاهيم في الشعرية، ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 25 .

أ . الظروف الاجتماعية:

كانت الأمة في عصر خليل مطران تعاني من أوضاع اجتماعية قاهرة ومزرية مع انتشار ظواهر فتاكة ومأساوية ومدمرة حيث نشرت القلق والاضطراب وبعثت الفتن وروح الفوضى في الأوساط الاجتماعية ومنها ما يلي:

* ظاهرة الجهل وانتشار الأمية: فهما داء يتحكم بالنفوس والعقول وتجعل من المصاب بهما يتخبط وسط دوامة من التخلف وهذا ما عانى منه الإنسان العربي لعهود طويلة وهذا بسبب الاستعمار الأجنبي للمشرق العربي ومحاربته للغة العربية ومحاولة القضاء عليها وطمس الشخصية القومية. [1]

* ظاهرة الفقر: فهي من أبرز المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها الشعوب العربية إبان الاحتلال الأجنبي لها فعم الفقر والمجاعات أوساطها فأدى ذلك إلى انتشار المرابين والمحتكرين.

* انتشار البدع والخرافات وتقيد المجتمع المصري بتقاليد ذميمة تكبل أعناق الأفراد وتجعل أكثرهم عبيدا لها.

* انتشار الفساد وقطاع الطرق داخل الأوساط العربية وهذا من وراء حكام جائرون أباحوا الموبقات واستباحوا المحرمات.

* انتشار الأوبئة الفتاكة والأمراض كمرض الكوليرا سنة 1947 م. [2]

* الافتقار إلى الحرية الفردية والفكرية وهذا نتيجة تعرض عامة الشعب إلى الاضطهاد والاستغلال من طرف الجهال.

---

[1] سحر سليمان الخليل : كتاب خاص في الأدب العربي الحديث، دار البداية، عمان، ط1، 2010، ص 132 .

[2] المرجع نفسه، ص 18 .

* اتساع الفروق بين الأغنياء والفقراء في الأوساط الاجتماعية نتيجة إتباع اقتصاد السوق وتحكم الإقطاع في اقتصاديات الوطن العربي. [1]

* ظاهرة القهر الاجتماعي فقد عانى الفرد العربي من الظلم والقهر الاجتماعي والبؤس الحياتي والغدر في التعامل وانتشار الفوارق الطبقية داخل المجتمع الواحد والتي كانت سببا في انعدام السلام الاجتماعي وغياب العدالة التي لا تحقق إلا في إطار القوة التي تفصل بين الحق والباطل وتنصف المظلوم من الظالم مع غياب الاستقرار والأمن داخل الأوساط الاجتماعية . فالبلاد العربية غارقة في بحر من الظلام وحافلة بالفوضى والاضطرابات. [2]

* جهل المرأة العربية وغيابها عن المجتمع وتقييدها وإذلالها واستكانتها للتعسف والهوان وهذا من أفظع العلل التي أضعفت التربية القومية والوعي الاجتماعي في البلاد العربية.

* مشكلة التمييز ضد المرأة وحرمانها من فرص التعليم العالي والانخراط في العمل المنتج خارج البيت.

* المشكلات التي يتعرض لها العامل والفلاح والطالب والمثقف نتيجة تقييد حرياتهم وتعرضهم للاضطهاد من طرف الطبقة الغنية والحاكمة. [3]

ب . **الظروف السياسية:** تميزت الأوضاع السياسية في الفترة التي عاصرها خليل مطران بالفوضى والاضطراب وانتشار الحروب في كافة العالم وتعرض البلاد العربية إلى الغزو والاحتلال من طرف المستعمر الأجنبي:

[1] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الميسرة، عمان، ط2،(د.ت)، ص 217 .
[2] سحر سليمان الخليل : كتاب خاص في الأدب العربي الحديث، ص 133 .
[3] المرجع نفسه، ص 119 .

* تـردي أحـوال الـوطن العربـي فـي أواخـر الخلافـة العثمانيـة حيـث ظهـرت جماعـة تركيـا الفتـاة وأخـذت تسـيم النـاس الـذل والسـخف وبشـكل خـاص فـي بـلاد الشـام وأصـبحت الـدول الغربيـة تغـري جماعـة التتريـك بزيـادة الـبطش فـي بـلاد العـرب مـن جهة وتعد نفسها للانقضاض على البلاد العربية واقتسامها من جهة أخرى. [1]

* القضـية الفلسـطينية التـي تعـد أخطـر حـدث سياسـي يمـر بـالعرب والمسـلمين وتكمـن خطورتها بما يلي:

- فلسطين قلب الوطن وقيام إسرائيل يعني تهديد العرب جميعا.

- أهمية فلسطين الدينية بالنسبة للمسلمين والمسيحيين.

- الصـراع بـين الكتلتـين الشـرقية والغربيـة علـى مصـالحها فـي الشـرق الأوسـط قـد يعنـي أن تدخل هاتان القوتان بصورة مباشرة في حرب عالمية ثالثة. [2]

* الصـراع السياسـي العنيـف الـذي كـان محتـدما فـي العشـرينات بمصـر المتمثـل فـي الصراع بين الزعيم سعد زغلول وملك القصر فاروق. [3]

* الحرب العالمية الأولى والثانية.

* المشـكلات التـي يتعـرض لهـا العامـل والفـلاح والطالـب والمثقـف نتيجـة تقييـد حرياتهم وتعرضهم للاضطهاد من طرف الطبقة الغنية والحاكمة. [4]

* مصر تئن من وطأة هذا الاحتلال. [5]

---

[1] سحر الخليل: الأدب العربي الحديث، ص 129 .

[2] محمد مصطفى هدارة: بحوث في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1994، ص 30 .

[3] عبد المعطي حجازي : قصائد مختارات (خليل مطران)، ص 15 .

[4] المرجع نفسه، ص 119 .

[5] حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث، ص 176 .

* احتلال مصر من طرف الانجليز سنة 1882 وراحوا يوطدون سلطتهم فيها ويحكمون القبضة على من فيها وكان الذين أصبحوا رؤساء وقادة لا يسوون الأمور إلا بالقهر والتسلط واستبداد الرأي.

* التنافس الاستعماري على البلاد العربية وقد أدى هذا التنافس إلى ما يلي:

– تجزئة البلاد العربية جغرافيا وسياسيا وبشريا، فقد أقيمت الحدود المصطفة وعمل المستعمرون على إيجاد الثغرات والعصبيات والإقليميات الضيقة والكتل السياسية المتعارضة ليسهل تمزيق البلاد والسيطرة عليها.

– نهب خيرات البلاد العربية وحرمان أصحابها الشرعيين في ملكيتها والتصرف فيها.

– كبت الحريات العامة وملاحقة الحركات الوطنية للقضاء عليها.

– إيجاد طبقة من ذوي المصالح الفردية ليكونوا عونا للمستعمرين في تنفيذ مخططاتهم ومشروعاتهم. [1]

* الحركات السياسية كان قيامها عربيا قبل صدور الدستور العثماني عام 1908 م وكان لها عدة توجهات:

– قومية: تزعمها الشريف بن علي في الحجاز وسعت إلى تحقيق الاستقلال العربي.

– التيار الوهابي: نسب إلى محمد بن عند الوهاب وسعى إلى تحقيق الأمل العربي من خلال الالتزام بمنهج السلف الصالح.

[1] سحر سليمان الخليل : كتاب خاص في الأدب العربي الحديث، ص 15،16 .

– الثورات: كالثورة العربية الكبرى في الحجاز وثورة العشرين في العراق وثورة 1919 ، في مصر والحركة السنوسية بليبيا وثورة عمر المختار وكذلك ثورة عبد القادر الجزائري في الجزائر وعبد الكريم الخطابي في جبال الريف بمراكش. [1]

ثالثا: الموضوعات الشعرية عند خليل مطران:

جمع خليل مطران في ديوانه بأجزائه الخمسة بين القديم والحديث فأغلبه قصائد ذات موضوعات تقليدية كالرثاء والمديح والتهاني، قيلت في مناسبات مختلفة، وثمة فريق من النقاد أخذ على الشاعر انحداره بشعره إلى المناسبات الصغيرة، ويأتي " ميخائيل نعيمة " على رأس هذا الفريق فقد أحصى عليه قصائد المناسبات ووجد في ديوانه "" ثلاث وسبعون " مرثاة و " واحد وعشرون " تهنئة بزفاف و " اثني وعشرين " تهنئة برتبة ولكنه في المقابل لم ينكر عليه أنه فاتح عهد وخاتم عهد إذ يقول: " ويقيني أن نجمه سيلمع طويلا في سماء العربية، وأنه سيحيا في تاريخ الشعر العربي، كفاتح عهد التجديد وخاتم عهد التقليد " [2]

وفي موضوع الرثاء نجد له قصيدة في رثاء للمغفور له الوزير الفارس الشاعر محمد باشا البارودي حيث يقول في مطلع قصيدته:

مصابك حيا عزا جعفرا وخطبك ميتا عزا قيصرا

رزئناك لم يغن منك البيان ولم يعصم الجاه أن تقبرا [3]

[1] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 217 .

[2] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث، ص 57 ، 58 .

[3] أحمد عبد المعطي حجازي : قصائد مختارات (خليل مطران)، ص 45 .

كما يعتبر خليل شاعر قضية لأنه كان مهتما بمعالجة مختلف القضايا التي تمس مجتمعه وهذا يظهر من خلال نظمه لقصيدة " مقاطعة " فقد نظمها لما بدأ اضطهاد الأحرار وسلط قانون المطبوعات على الأفكار وفيها يقول:

شـــرّدوا أخيـــارها بـــرا وبحـرا واقتلـوا أحـــرارها حـــرّا فحـرّا [1]

بالإضافة إلى وجود قصائد كثيرة لمطران يدعو من خلالها الشعوب العربية إلى الثورة على المستعمرين وهذا يظهر خلال القصص الشعرية التي لم تكن تهدف إلى التسلية وإنما كانت وسائل موجهة إلى العرب ليثوروا بدورهم على المستعمرين والطغاة وكان مطران يرى أن وراء كل طاغية شعب جاهل متملق إذ يقول على لسان إبنة الوزير " بزرجمهر ":

ما كان كسرى إذ طغى في قومه إلا لما خلقوا به فعالا

هـــم حكمـــوه فاستبـــد تحكمـــا وهم أرادوا أن يصول فصـــالا [2]

وقد كتب عددا من القصائد التاريخية مثل مقتل " بزرجمر " و " نيرون " و " فتاة الجيل الأسود " صور فيها معالم البطولة والطغيان فالبطولة تمثلت في فتاة الجيل الأسود وفي ابنة الوزير أما الطغيان فقد تمثل في نيرون الذي أحرق روما وفي كسرى الذي قتل وزيره الحكيم بزرجمر.

كما تدل قصيدة " الأهرام " على أن خليل كان محرصا داعيا إلى هدم العالم الظالم وإنشاء عالم آخر أكثر عدلا وجمالا وحرية يضع أساسه السوقة والغوغاء المضطهدون الذين قام بتحريضهم على الملوك بقوله:

يا أيـــها المـــوتى ألـــم يُسْمِعْكُـمُ صـوت المنـــادي صادعـاً مُـرَدِّداً

[1] أحمد عبد المعطي حجازي : قصائد مختارات (خليل مطران) ص 56 .

[2] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث(الشعر)، ص 60 .

قومـوا انظـروا السوقة فيما حولكم تـدوس هانـات الملـوك هُمَّـدَا [1]

نـبلا وكبريـاء فـي الـدفاع عـن الحريـة ومقاومـة الاسـتبداد والاسـتهانة بالمسـتبدين حيـث كـان همـه الأول هـو محـاربتهم قـولا وفعـلا وتلميحـا وتصـريحا مثبتـا ذلـك مـن خـلال كتابتـه أشـعارا سياسـية يعـارض فيهـا التسـلط العثمـاني ومنهـا قصـيدته التـي مطلعها:

مشـت الجبـال بهـم وسـال الوادي ومضـوا مهـادًا سرن فوق مهـاد [2]

وعنـدما انتشـرت قصـائده ووقـع بعضـها بـين يـدي الـوالي العثمـاني اقـتحم عليـه الـدرك غرفـة الـدرس وهـددوه بالسـجن ممـا اضـطره إلـى مغـادرة بيـروت شـطر الإسكندرية.

وبـالرغم مـن أن مطـران اهـتم بالموضـوعات التقليديـة ومواضـيع سياسـية كـالثورة ومقاومـة الاسـتعمار الأجنبـي إلا أنـه قـد اتجـه نحـو كتابـة موضـوعات فـي الشـعر الرومانسـي وباعتبـاره رائـد لهـذا الاتجـاه فـي الـوطن العربـي، اتخـذ مـن هـذه الموضـوعات وسـيلة يـدعو مـن خلالهـا إلـى التجديـد والنهـوض بالشـعر العربـي ومواكبـة التطـور الثقـافي والأدبـي، ففـي مقدمـة ديوانـه الأول الـذي أصـدره عـام 1908 م أسـر علـى أسـلوب فـي الـنظم يسـاير أسـاليب الغـرب ويقـوم علـى وحـدة القصـيدة وتناسـق معانيهـا، وأن تكـون متماسـكة الأجـزاء متلاحمـة الأبيـات والمقـاطع، بحيـث تـؤدي إلـى غايـة واحـدة ويعتـرف بـأن هـذا الشـكل العضـوي أقـرب إلـى حقيقـة الشـعر مـن الشـكل الميكانيكي.

[1] أحمد عبد المعطي حجازي : قصائد مختارات (خليل مطران)، ص 12 .

[2] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 70 .

ويضاف إلى هذا الإعلان الصريح عن رغبته في التجديد، وتجنب الوقوع تحت تأثير الشعر العربي القديم.

نجده يقول في إحدى مقالاته المنشورة في المجلة المصرية في تموز 1900 م ما يأتي:

" خطة العرب في الشعر لا يجب حتما أن تكون خطتنا، بل للعرب عصرهم ولنا عصرنا، ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ولنا آدابنا و أخلاقنا وعلومنا، ولهذا يجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا لا لتصورهم وشعورهم، وإن كان مفرغا في قوالبهم محتذيا مذاهبهم اللفظية " [1]

ومن هذا القول يتضح أن مظاهر التجديد في شعره هو تجنب الوقوف عند القشور والطلاء الخارجي في أي موضوع يتناوله فإذا وصف لا يخلو من عاطفة حارة وإحساس صادق، يقوم على مزيج الشعور بما يصفه ونجد هذا التجديد واضحا في قصيدة " المساء "، ففيها يمزج مزجا جيدا بين شعوره وبين ما يراه الرائي في الطبيعة والكون.

وهذا مقطع منها:

وخواطري تبدو تجاه نواظري كلمى كدامية السحاب إزائي

والدمع من جفني يسيل مشعشعا بسنا الشعاع الغارب المترائي

والشمس في شفق يسيل نضاره فوق العقيق على ذرى سوداء [2]

[1] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 72 .

[2] المرجع نفسه، ص 73 .

فخواطره دامية كالسحب التي يراها عند الغروب، ودموعه التي يذرفها من آثار الفراق ممزوجة بالشعاع الغارب، والشمس تظهر له كدمعة حمراء يخالطها الدم حزنا عليه، وتفجعا لأحواله، وكأن الكون يبكي هو الآخر بدموع دامية إشفاقا عليه، وإحساسا بكارثته، فالطبيعة كالمرآة يرى فيها صورة نفسه الآيلة إلى السقوط والموت. وقد شهد لمطران بالتجديد كل من شوقي وحافظ الذي رأى فيه: " أول شاعر يوسع صدر الشعر العربي للخيال الأعجمي " [1]

[1] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، ص 75 .

الفصل الثاني

رمزية الماء في الشعر العربي

أولا: الرمز

أ- تعريفه:

يعود أصل كلمة الرمز ومعناه إلى عصور قديمة جدا فهي عند اليونان تدل على قطعة من فخّار أو خزف تقدم للزائر الغريب علامة لحسن الضيافة وكلمة الرمز Symbole مشتقة من الفعل اليوناني يحمل معنى الرمي المشترك Jeter ensemble أي اشتراك شيئين في مجرى واحد وتوحدهما.[1]

وهو ما يعرف الآن بالدال والمدلول، الرامز والمرموز إليه.

أما لفظة رمز في لسان العرب فهي " تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين "[2]

فمن خلال هذا التعريف نجد أن الرمز يقترب إلى معناه في القرآن الكريم فهو عبارة عن الحركات التي تقوم بها إحدى الحواس للإبانة كالفم أو العينين أو الشفتين مع إخراج ما تخفيه النفس.

لذلك فإن الرمز يأخذ قيمته من الذي يوحي به ويدل عليه فهو الوسيلة الناجحة إلى تحقيق الغايات الفنية الجمالية وإدراك ما لا يمكن إدراكه ولا يمكن التعبير عنه بغيره، بالإضافة إلى دلك نجد أن للرمز معاني أخرى: كالإيحاء، التعبير عن النواحي النفسية التي لا تستطيع أدائها اللغة في دلالاتها الوضعية وكل هذا بطريقة غير مباشرة لدلك فإن الرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث أن

[1] ناصر لوحيشي: الرمز في الشعر العربي، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009، ص 9 .

[2] المرجع نفسه، ص 10 .

المشاعر لا تتولد عن طريق التسمية والتصريح وإنما تقوم عن طريق الإشارة النفسية.

ب- أنواعه:

لقد كان الرمز متداخلا مع علوم البلاغة قديما لكنه في القرن التاسع عشر أخذ وجها آخر فأصبح الرمز رموزا:

- الرمز الأدبي
- الرمز الديني
- الرمز السياسي
- الرمز الاجتماعي [1]

وانطلاقا من هذه الأنواع يظهر لنا أهمية توظيف الرمز من طرف الأديب وخاصة الشاعر فهو يدرك أن التعبير الغائي المسماح يفقد الشعر خصائصه وهويته فالشاعر الأصيل يعمد إلى استخدام الرمز من أجل إحداث الأثر الشعري وإشراك القارئ تجاربه وإدخاله إلى عوالم لا حدود لها مما يدفعه إلى الغوص في مضمون النص.

ثانيا: شعرية الماء في القصيدة العربية

أ- شعرية عنصر الماء في الشعر العربي القديم:

يصور الشاعر العربي القديم كونه المحيط به بصور تجسد نظرته الخاصة للحياة، وقد انعكست هذه النظرة على أهمية مختلف الظواهر الطبيعية التي كان لها أثرها الخاص في حياته.

[1] ناصر لوحيشي : الرمز في الشعر العربي، ص 10 .

فقد حفل الشاعر العربي بالماء لأنه الجوهر الأول المكون للحياة والوجود إذ لا يمكن لأي متن من متون الشعر العربي أن يخلو من عنصر الماء ودلالاته سواء كانت قريبة أو بعيدة وما يختزنه من شعائر وطقوس في الذاكرة الثقافية والتراثية، حتى أصبح الماء في الحس اللغوي غيبا ووحيا ورحمة وهو لفظ يحمل آثارا من ذلك الإحساس العميق بالفرحة والرضا والحياة.

لذلك لم يكن غريبا أن يكون وصف الماء أو توظيفه كرمز أو كصورة شعرية في أشعار القدامى موضوعا جلابا ومن أبرز موضوعات الشعر العربي القديم.

فقد كان عنصر الماء وماله من دلالات فهو – السحاب والمطر والآبار والغدران والبرك والأنهار والسواقي والشلالات والبحار والغيون والسيول – وغيرها وقعها الخاص في نفسية كل شاعر فإبداعاته كانت كلها نتيجة تجارب وجدانية بِحُلوها ومرّها.

كذلك فالماء وتجلياته كلها كانت تشكل الحزن أو البهجة ومصدر إلهامهم في أشعارهم وقد وظف الشعراء القدامى لفظة الماء ودلالاتها في جميع الأغراض الشعرية التي كانت سائدة:

1- في الفخر:

الفخر من الأغراض الشعرية التي عبرت عن اعتداد العرب بقومه أو بنفسه واستوعبت إظهار فضائل الشجاعة والكرم، فضلا عن القيم الأخرى ويحتل الفخر مرتبة متقدمة ضمن الأغراض المعروفة عند العرب القدامى.

وتدخل الطبيعة مادة موضوعية ضمن قصائد الفخر بشكل واسع فتهيئ للشعراء مختلف المفردات والصور و الأخيلة المستمدة منها. كقول الشاعر أبو ذُؤيب الهذلي:

غداة المُلَيْحِ حيث نحن كأننا غواشي مضر تحت ريح ووابل [1]

فالشاعر في هذا البيت الشعري وظف مفردة المطر وذلك من أجل أن يصور حالة البطش بالأعداء وهي تشكل مادته في التعبير عن مقومات الفخر التي تتمثل بالقوة والبطش بالأعداء، وقد وردت هذه الصورة باختصار شديد إذ أن الشعراء القدامى يكتفون بالتشبيه دون أن يكون لهم فيها تفصيل، فقد أفادوا من صورة المطر والسيل أو السحاب أو موج البحر كما ركز الشاعر العربي القديم عليها دون غيرها يعود إلى ارتباط تلك المشاهد بالقوة والعظمة فالمطر والسحاب والموج من المشاهدات البيئية التي يخشاها الشاعر مثلما يشتاق إليها.

كما يعرف مدى تأثيرها إذا ما دامت أياما عديدة فهي تجرف الأشجار وتهدم البيوت وتميت الحيوانات. يقول أحد الشعراء:

فأضحى ليَسُجُّ الماء حول كُتَيْفَةٍ يكبُ على الأذقان دَوْجُ الكَنَهْبَلِ [2]

فالشاعر هنا يربط بين فكرة الحرب، وأن أي حدث عظيم من مثل المطر لابد أن تكون له آثار من العنف والدمار.

إذن فالشاعر القديم عندما يريد الفخر بنفسه أو بقومه يأخذ من المطر صورة له في الكشف عن مواقفهم البطولية وشجاعتهم المتميزة.

[1] فاضل بنيان محمد: الطبيعة في الشعر العربي، دار غيداء، عمان، د ط، 2013، ص 183 .

[2] عماد علي الخطيب: الصورة الفنية أسطوريا، دار جهينة، عمان، د ط، 2013، ص 309 .

2- في شعر الحرب:

جسد الشعر العربي صورة الحرب من خلال احتفاء العرب بالحرب واهتمامهم بها بعد أن خاضوها مرغمين، فالقتل لم يكن غاية بل كان دافعا من أجل الظفر والتفوق الذي تتطلبه الحياة العربية لذلك العصر. فقد استثمر الشاعر المفردات الدالة على الماء ليجعل منها أبرز مكونات صورة الشعرية، لذلك جعل من الأعداء في كثرتهم سيولا جماعات مثل السحاب الذي فيه رعد وصواعق. حيث قال الشاعر "مالك بن خالد":

ولما رأو نَقْـــرَى تَسيلُ إكامها بأرعـــن جرّار وحاميـــة علْبِ

وضـــــار بهم قومٌ كرامٌ أعزّةٌ بكل خُفَاف النّصْلِ ذي رُبْدً غضْبِ [1]

الشاعر هنا جعل السيل الذي هو مظهر من مظاهر الطبيعة المدمرة تعبيرا عن كثرة الجيش في قوله (تسيل إكامها)

ومن هذا يتبين لنا أن المفردات الدالة على الماء ساهمت في تصوير حدث الحرب، وبناء المفردات الفكرية، فصورة الحدث الحربي اعتمدت على صورة الطبيعة الموحية بكثرة الجيش المحارب وقوته لذلك اختار الشعراء أفضل المفردات المعبرة عن هذه الكثرة وتلك القوة كالسحاب المتراكم أو السيل الجارف أو صوت الرعد المجلجل.

لهذا ارتبطت صورة المطر عند كثير من الشعراء بصورة الجيش الذي يهتز ويتحول إلى سيول جارفة تغمر الوديان والسفوح والخيل في المعركة كعارض متفجر أو كسحاب دفعه الريح فاندفع يسحق كل شيء أمامه أما السيوف فتتهاوى في

[1] فاضل بنيان : الطبيعة في الشعر العربي، ص 186 .

عتمة المعركة كالبرد المنثور، أو كالمطر المنسكب لكنها لا تمطر بالخير والرحمة بل تمطر العذاب والنقمة والدم الأحمر وقد سمُّوا الجيش الكثيف عارضا وسحابا.

3- في الرثاء:

يمثل الرثاء غرضا رئيسيا عند القدامى، لذلك جاء في أغلبه نسجا متكاملا من الحزن العميق، وكلاما متزنا عن أخلاق المرثي ومروءته حيث يتخذ الشاعر مفردات من الطبيعة للكشف عن أخلاق المرثي وعن صورته وعن كرمه وجوده لهذا يقول الشاعر "أبو الملثم":

هباط أودية حمال ألوية شهاد أندية سرحان فتيان [1]

فالشاعر هنا صور أعظم صور الكرم بتشبيه المرثي في عطاءه أيام الشدة والقحط بالواد فالبيت يفصح عن انطلاق يد المرثي للمحتاج في وقت كان فيه الناس يعيشون أصعب الأوقات وأحلك الظروف ويبخلون تجاه المحتاج. ولهذا يجد الشعراء في مثل هذه الصفات مناسبة لتمجيد المرثي والإفصاح عن مآثره المحمودة.

ويقول شاعر في رثاء صديقه:

كانوا ملاوث فاحتاج الصديق لهم فقد البلاء إذا ما تُمْحِلُ المطرا [2]

صور الشاعر حالة فقدانه لصديقه بالبلاد التي إذا فقدت المطر أصبحت ممحلة وصورة المطر هنا وانحساره هي تعبير عن صورة المرثي وعطائه، أما صورة الأرض المجدبة فتقابلها صورة من فقد الأصحاب.

[1] فاضل بنيان محمد: الطبيعة في الشعر العربي، ص 199 .

[2] المرجع نفسه، ص 201 .

4- في الغزل:

من خلال غرض الغزل يستطيع الشعراء التعبير عن لواعج حبهم اتجاه المرأة فكانت قصائدهم الغزلية مزجا بين الواقع الخارجي وما يصفونه من حالاتهم النفسية عن حبهم. ولهذا كانت المرأة من المواضيع التي يرتبط بها المطر، فإن كثيرا من المطر في الشعر العربي قديما لصيق بالمرأة لصوقا بينا لأن المرأة والمطر شيئان متصلان متحدان في ضمير الشاعر العربي.

وفي هذا الصدد يقول الشاعر:

غراء فرعاء مبهاج لمضحكها ريّا كريا الخزامى بلها الثآد

تُجرى السواك على عذب علالته كما تهلل تحت المزنة البرد [1]

يظهر لنا البيتين ما يخفي الشاعر من عواطف، إذ جعل أكثر أنواع المطر غزارة في التعبير عن بكائه تجاه من يحب، فقد اختار الشاعر أكثر الصور الطبيعية قدرة على الكشف عن صفات الحبيبة والإفصاح عن شغفه بها فكانت أهم هذه الصور ما يرتبط بالسحاب (المزن) أو المطر وما ينتج عنهما من فيض.

ولهذا كانت وقفة الشاعر في قصائده وقفة تأمل في سير المرأة الراحلة وفي سير المطر فالمرأة الراحلة يدعون لديارها بالسقيا لأن مخلفاتها التي انطمست واندثرت وماتت، يريدون لها الحياة والرحمة والتطهير والبعث ولهذا يمكن أن يكون هذا الدعاء بالسقيا تراث ديني قديم استخدمه العرب في استدعاء المطر ومن تم ارتبط نزول المطر بالأرض الخراب والمرأة الراحلة. فالمرأة عندهم هي نبع الخير المطلق ومصدر لماء الحياة وأن رحيل المرأة عنه يعني عنده رحيل المطر وقربها يعني الخير والخصب ودفق ماء الحياة.

[1] فاضل بنيان محمد: الطبيعة في الشعر العربي، ص 210 .

ب- شعرية عنصر الماء في الشعر عند المحدثين والمعاصرين:

استيقظ إنسان القرنين العشرين والواحد والعشرين على الحياة فوجدها تبعث على الرعب فأحس بأنه موجود في عالم لا سند له فيه ولا ملاذ عالم يعود فيه باستمرار إلى ذاته وكان هذا مبعثا على الإحساس بالتمرد أحس بأن العالم من حوله لا يحكمه نظام ثابت، متأثرا بالظروف العالمية والمحلية ليصل في النهاية إلى الاصطدام بجدران الفراغ والضياع.

ما جعل شاعر تلك الحقبة يلجأ إلى الطبيعة ويستقي منها ما يصور حالته النفسية ومختلف الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة في ذلك الوقت، ولهذا نجد كثيرا من الشعراء وظفوا عنصر الماء في قصائدهم الشعرية لأنهم وجدوا فيه ما يعبر عن مختلف أحاسيسهم وعواطفهم وقد أخذت لفظة الماء عندهم عدة أبعاد:

1. الماء دلالة على الحياة والانبعاث والتجدد: في شعر الشعراء العرب المحدثين ما يتجاوز الذات إلى إطار أعم، إذ راحوا يصورون واقع بلادهم الأليم، آخذين من الطبيعة ما يناسب ذلك بتوظيفهم لفظة الماء ومختلف معانيها وصفاتها في قصائدهم كصورة موضحة أو كدلالة على مختلف أفكارهم المطروحة التي تعالج مختلف القضايا والمشاكل التي تمس مجتمعاتهم، فكانت قضية النهوض بالأمة العربية همهم الوحيد وشاغلهم الأكبر في الحياة، وهذا ما جعل أشعارهم عبارة عن دعوات للإنسان العربي وبث للرغبة الواعية في نفسه والنهوض بأعباء الحياة وذلك من خلال بعث الحياة في الوطن العربي الغني بمختلف الأحداث والتحولات التي تساهم في دفع حركة التطور والتجدد إلى الأمام، والخروج من قبو التدبدب والتردد وحالة الركود التي يعيش فيها، يقول الشاعر المعاصر "بدر شاكر السياب":

وأين القطاف؟

مناجل لا تحصد

أزهار لا تعقد

مزارع سوداء من غير ماء [1]

إن الشاعر في هذه الأبيات حاول أن يصور لنا حالة البلاد العربية التي تعاني التخلف والركود وعدم التطور في جميع مجالاتها من خلال تشبيهها بالأرض التي يحل بها القحط والجفاف عند غياب الماء أو إمساك السماء عنها المطر الذي يكون مصحوبا بالموت والعقم فلا يكون فيها زرع ولا ولادة جديدة ولا حياة فيها، ولكن إذا عاد الماء إلى هذه الأرض المقفرة في مواسم المطر بث فيها روح الحياة وتصبح قادرة على الإنتاج والعطاء وتجد كل مزروعاتها وأشجارها. فكذلك بالنسبة للأمة العربية التي تشبهها في ذلك من حيث أنها إذا عملت على إحداث تغير وتحول جذري في مختلف مجالاتها السياسية والاجتماعية والعلمية والفكرية وانبعاث حضاري ينهض بالدول العربية يخلصها من الجمود والانحطاط الذي ظلت سجينته سنوات طويلة ويمكنها من مواكبة التطور الذي وصل إليه الإنسان الغربي.

2. الماء رمز الخير والثورة: اتخذ شعراء العرب المحدثين من المطر رمز للثورة لأن المطر رمز الخصب والعطاء وخالق الزهر والثمر وراوي العطش وهو عنصر خير كبير فبنزول المطر يعم الخصب الاخضرار وتصبح الأجواء معطرة بالورود والياسمين والأرض ترابها كالمسك والعنبر. يقول الشاعر ملك عبد العزيز في هذا الصدد:

[1] حفناوي رشيد بعلي: حفريات في الأسطورة، دروب للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011، ص259 .

لوعدت يا مطر

لاهتزت الأرض الخبيئة الثمر

وفجرت كنوزها العيون والشجر

لارتوت الجذور

لفتحت براعم الزهور

وارتعشت في كل عرق نبضة الحياة [1]

إذن الشاعر في هذه الأبيات يصور لنا حالة الأرض بعد نزول المطر فهو يجعل الأرض تخرج ثمارها المخبأة وتفجر العيون وتتفتح براعم الأزهار وبهذا تنبعث الحياة في كل بقعة من الأرض.

كما أن المطر هو رمز للثورة فقد كانت أغلب قصائد الشعراء المحدثين دعوة للشعوب العربية التي كانت تحت وطأة الاحتلال الغربي إلى الثورة عليه والتحرر من قيوده، والتخلص من أغلاله ورفع راية الحرية في سماء الأمة العربية، لهذا نجد الشاعر الفلسطيني سميح القاسم يصور لنا ثورة هذه الشعوب بالبحر الصاخب:

ضرب البحر الصاخب بعصاه السحرية

فانشق البحر

ألقى في القوم عصاه فصارت أفعى

[1] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث(الشعر)، ص 243 .

تتلوى وتفح وتسعى

نارٌ وشجيرة [1]

الشاعر هنا يدعو الدول المحتلة أن تكون مثل البحر الصاخب في ثورتها وتشبهه في غضبه كالأفعى التي تتلوى وتفح وتهجم على فريستها أو تواجه خصمها.

3. الماء رمز للغربة والاغتراب: يصور الشاعر العربي المحدث غربيه سواء داخل الوطن أو خارجه بتوظيف لفظة الماء في أشعاره للتعبير عن الحنين إلى الوطن والإحساس بالغربة والتجاوب مع الأحداث السياسية في أوطانهم وتصوير الصراع في سبيل لقمة العيش.

3-1- الحنين إلى الوطن: إن الحنين يتكرر كثيرا في قصائد الشعراء المتغربين عن ديارهم والمهاجرين منهم، فنجد الشاعر رشيد أيوب يصور حنينه إلى وطنه لبنان قائلا:

تذكرت أوطاني على شاطئ النهر فجاش لهيب الشوق في موضع السّر

وأرسلت دمعا قد جنته يد النوى عليّ فأمسى في منتخب القطر [2]

إذن فهذين البيتين يجسدان إحساس رشيد أيوب بالغربة ومع آلامها وعذابها يشتد الحزن والكآبة وتنمو خيوط الوجد والشوق العارم الذي يضطرب داخل نفسه نحو وطنه وعجزه عن العودة أليه فلا يجد الشاعر في غربته ملجأ غير شاطئ النهر الذي عليه يتذكر وطنه فيزداد حنينه ويشتعل لهيب الشوق ما يجعل دموعه تنهمر بلا توقف.

[1] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث، ص 301 .

[2] المرجع نفسه، ص 169 .

3-2- الإحساس بالغربة: كان السعي وراء لقمة العيش وما يلاقيه المغترب والمهاجر من مشقات موضوعا نبغ فيه الشعراء ذلك أنهم هاجروا انتجاعا للرزق وما عليه إلا أن يتحمل شظف العيش وقسوة الحياة وهذا ما يصوره مسعود سماحة في قوله:

توغلت في البراري وقلبي سابح مثل زورق في نهر

تعرضت للعواصف حتى خلت أن الثلوج في القفر قبري [1]

فالشاعر هنا يصور حالته التي يعيشها في ديار الغربة حيث شبه قلبه الذي تملأه الوحدة والشعور بالضياع كأنه زورق وسط النهر فهو ينظر إلى الحياة في المهجر وكأنها نهر يتلاعب بن يدخله فيلطمه هنا وهناك.

3-3- التجاوب مع الأحداث السياسية: تجاوب الشاعر المغترب مع الأحداث السياسية في البلاد العربية تجاوبا شديدا فنجده في كثير من قصائده يبدي قلقه وألمه على ما حل ببلاده فوطنه لا يغيب عن وجدانه فنجده شديد الحزن وحسرة أليمة تعصر قلبه على عدم قدرته على تحقيق آماله وقهر أعدائه. ويقول البياتي في هذا:

شعري جواد جامح، يعدو بفارسه الحزين

نحو الينابيع البعيدة

في الجبال

بفارس الأمل الحزين

ماذا على الشعراء لو قطعوا يد المتطفلين [1]

[1] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث ، ص 169 .

الشاعر في هذه الأبيات يبين في أمانة وصدق أن الشاعر وهو غريب ينطوي على أمل حزين يرى من خلاله أن بلاده قادرة على دك شرور الظلم التي تتعرض لها من طرف المستعمر إذا أرادت بالرغم من أن هذا يشبه المستحيل ما جعل الشاعر يصور هذا الوضع الذي يشبهه بالينابيع التي تقع في أعالي الجبال ولا يمكن الوصول إليها ما يولد الحزن في نفس الشاعر.

ثانيا: نماذج شعرية لخليل مطران:

أ- قصيدة المساء:

شَاكٍ إِلَى البَحْرِ اضْطِرَابَ خَوَاطِرِي فَيُجِيبُنِي بِرِيَاحِهِ الهَوْجَاءِ
ثَاوٍ عَلَى صَخْرٍ أَصَمَّ، وَلَيْتَ لي قَلْباً كَهَذِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ!
يَنْتَابُهَا مَوْجٌ كَمَوْجِ مَكَارِهِي وَيَفُتُّهَا كَالسُّقْمِ في أَعْضَائي
وَالبَحْرُ خَفَّاقُ الجَوَانِبِ ضَائِقٌ كَمَدَاً كَصَدْرِي سَاعَةَ الإِمْسَاءِ
تَغْشَى البَرِيَّةَ كُدْرَةٌ ، وَكَأَنَّهَا صَعِدَتْ إِلَى عَيْنَيَّ مِنْ أَحْشَائي
وَالأُفْقُ مُعْتَكِرٌ قَرِيحٌ جَفْنُهُ، يُغْضِي عَلَى الغَمَرَاتِ وَالأَقْذَاءِ

* * *

يَا لَلْغُرُوبِ وَمَا بِهِ مِنْ عِبْرَةٍ لِلْمُسْتَهَامِ ! وَعِبْرَةٍ لِلرَّائي!
أَوَلَيْسَ نَزْعَاً لِلنَّهَارِ ، وَصَرْعَةً لِلشَّمْسِ بَيْنَ مَآتِمِ الأَضْوَاءِ ؟

* * *

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالنَّهَارُ مُوَدِّعٌ، وَالقَلْبُ بَيْنَ مَهَابَةٍ وَرَجَاءِ
وَخَوَاطِرِي تَبْدُو تُجَاهَ نَوَاظِرِي كَلْمَى كَدَامِيَةِ السَّحَابِ إِزَائي

[1] محسن جاسم الموسوري، الأدب العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2010، ص 198 .

وَالدَّمْـعُ مِنْ جَفْني يَسِيلُ مُشَعْشَعَاً بسَنَـــى الشُّعَــاعِ الغَارِبِ المُتَرَائي
وَالشَّمْــسُ في شَفَقٍ يَسِيلُ نُضَارُهُ فَوْقَ العَقِيــقِ عَلَــى ذُرَىً سَوْدَاءِ
مَــرَّتْ خِلاَلَ غَمَامَتَيْــنِ تَحَدُّرَاً ، وَتَقَطَّـــرَتْ كَالدَّمْعَــةِ الحَمْــرَاءِ
فَكَـــأَنَّ آخِـــرُ دَمْعَةٍ لِلْكَوْنِ قَدْ مُزِجَتْ بآخِـــرِ أَدْمُـــعِي لرِثَائي
وَكَأَنَّنـــــي آنَسْــتُ يَوْمِي زَائِلاً ، فَرَأَيْتُ في المِـــرْآةِ كَيْفَ مَسَــائي [1]

ب- مضمونها:

مناسبة هذه القصيدة المليئة بالاكتئاب والإحباط والملل تعود إلى سنة 1902 م وفي الإسكندرية بالذات أين نظمها مطران وهو عليل فعندما ذهب خليل مطران للإسكندرية ليقضي عطلة من يومين باغته المرض ليقضي أكثر من ذلك حيث يقول مطران في هذا الصدد في أحد مناقشاته: " ذهبت للإسكندرية وفي تقديري أن أقضي ثمة يومين، وفي تقدير الله أن أقضي شهرين، فما هو إلا أن خلت ليلة حتى باغتني المرض " [2]

لكن خليل بعد أن تماثل للشفاء بعد شهرين وعادت إليه عافيته طلب منه الطبيب الخروج من غرفته والترفيه عن نفسه ففعل ذلك وذهب للاصطياف ظنا منه أنه سيشفيه من هذه العلة التي أصابته وآلمته وأثقلت عليه، فأخذ يبث شكواه في هذه القصيدة الرائعة الرومنسية الملأى بالإحباط والقنوط والحزن والهم والغم وكل هذا وهو جالس يشرب القهوة وينظر إلى البحر وغروب الشمس، مقارنا حالته بحالة المساء بأسلوب شعري رائع يمتزج بقوة العاطفة و الإحباط والنكد وصدق الوجدان فهو يتحدث عن المرض الذي أصابه وحل به ويقول أنه كان يظن بأنه سوف يشفى منه لكن هذا المرض تضاعف بسبب بعده عن محبوبته والتي فارقته إلى

[1] سمر سرحان ومحمد عناني: المختار من شعر خليل مطران، مكتبة الأسرة، مصر، د ط، 1999 ، ص 53-54 .
[2] ميشال جحا: خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، بيروت، ط1، 1981، ص 145 .

الأبد والتي لم يبقى له منها إلا الذكرى فهذا يدل أن مطران قد قدس محبوبته لهذا لجأ إلى ذكرياته معها لتفجير ما بداخله من أحاسيس ومشاعر.

هذا ما يدل على أن مطران قد تأثر بموسيه الذي قال " الرجل متدرب والألم سيده " [1] بمعنى أن الألم أو الحزن هو الذي يدفع بصاحبه إلى الإبداع.

ففي هذه القصيدة نجد مطران قد استعان بالحب والألم ليدل على عنصر الطبيعة لأن هذه الأخيرة هي مصدر السلام والطمأنينة والهروب من المجتمع فهي مسرح الخيال والتأمل لذا نجد في أبيات قصيدة المساء ينظر مطران إلى نفسه وينظر إلى الكائنات والموجودات بأنها حية لذلك جعل لها قلبا وعقلا وروحا لكي تفهمه وتحس به وتسمع شكواه مستغنيا بذلك عن البشر وجعل من الطبيعة ملجأً له لطرح همومه وآلامه.

ج- قصيدة تهنئة:

أَلنِّيـــلُ عَبْدُكَ وَالمِيَاهُ جَوَارِي بِاليُمْـــنِ وَالبَرَكَـاتِ فِيهِ جَوَارِ

أَمَّنْتَـــهُ بِمَعَاقِـــلٍ وَجَوَارِي وَجَعَلْتَـــهُ مُلْـكاً عَزِيزَ جِوَارِ

أُنْظُـــرْ سَفَائِنَكَ الَّتِي سَيَّرْتَهَا فِيـــهِ كَأَطْـــوَادٍ عَلَـى التَّيَّارِ

تَجْرِي بِسَيِّدِ مِصْرَ فُلكٌ ضَمَّهَا فُلـــكٌ مِنَ الدَّأْمَـــاءِ غَيْرُ مُدَارِ

سَيَّـــارَةٌ جُنْـحَ الظَّلاَمِ مُنِيرَةٌ فِي الأُفُـــقِ مِثْلَ الكَوْكَبِ السَّيَّارِ

أَوْ يَسْتَقِـــلُّ بِهِ مُغَيرٌ مُنْجِدٌ جَـــوَّابُ آفَـــاقٍ كَبَـــرْقٍ وَارِي

تَتَقَـــذَّفَ النِّيـــرَانُ مِنْهُ كَأَنَّهُ أَسَـــدٌ مُثَـــارٌ فِي طِلاَبِـةِ ثَارِ

[1] ميشال جحا: خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 145 .

سِرْ كَيْفَ شِئْتَ لَكَ القُلُوبُ مَنَازِلٌ أَنَّى انْتَقَلْتَ فَمِصْرُ فِي الأَمْصَـارِ

أَهْـــلاً بِرَبّ النِّيلِ وَالوَادِي بِمَا فِيـــهِ مِنَ الأَرْيَـــافِ وَالأَقْطَارِ

بِالعَـازِمِ العزمَاتِ وَهيَ صَوَادِقٌ وَمُعَـــاقِبِ الظُّلُمَـــاتِ بِالأَسْحَارِ

بِالفاتِحِ البَانِي لِمِصْرَ مِنَ العُلَى صَرْحـــاً يُزَكِّـــي شَاهِـدَ الآثَارِ

وَمُعَقِّـــبِ الفَخْرِ التَّلِيدِ بِطَارِفٍ لَـــوْلاَهُ كَـــادَ يَكُـونَ سُبَّةَ عَارِ

فَخْـــرٌ تَحَوَّلَ مَهْدُهُ لَحْداً لَهُ زَمَنـــاً وعـــادَ اليَوْم مَهْدَ فَخَـارِ [1]

د- مضمونها:

كتب خليل مطران هذه القصيدة على شكل رسالة بعث بها لسمو " الخذيوي عباس الثاني" إثر فتح السودان حيث أخذ مطران في هذه القصيدة يسترسل في مدحه وذلك بذكر محاسنه وأفضاله الكبيرة على المصريين وحتى السودانيين وكذا وصف مدى قوة أسطوله البحري الذي كان يرسو " بسيد مصر " اتجاه العدو أين وصف هذا الأسطول بالأسد الثائر وفي نفس القصيدة نجد مطران يصعد في مدحه حين وصف الخذيوي بأنه رب النيل الذي تعشقه كل القلوب سواء في مصر أو أي مكان في العالم وبأنه الصرح الذي يستحق أن يخلد مثل الآثار لأنه مصدر الفخر لمصر إلا أن خليل مطران وفي ظل المدح المبالغ فيه جعله عرضة للعديد من الانتقادات حيث يقول أحد النقاد " أن مطران قد أساء إلى شاعريته الممتازة حيث اضطرته الظروف الاجتماعية (....) أن ينظم كلاما ليس فيه روح الشعر " [2]

[1] ميشال جحا: خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 24-25 .

[2] المرجع نفسه، ص 228.

أي أن مطـــران وبســـبب الظـــروف الاجتماعيـــة التـــي يعايشـــها والحاجـــة إلـــى المتطلبـــات الدنيويـــة جعلتـــه يكتـــب شـــعرا خاليـــا مـــن الصـــدق والإحســـاس الشـــعوري الضـعيف، ويضـيف نفـس الناقـد قـائلا: " لـو جـرّد ديوانـه وخلـس شـعره مـن هـذا المـديح الضـعيف (.....) لصـان شـعره مـن أن يجـد فيـه الناقـدون موضـعا للجـرح والمؤاخـذة " [1] بمعنـى أن شـعر مطـران لـو كـان خاليـا مـن المـديح المبـالغ فيـه الـذي لا يمـد للشـعر بصلة لغلق المجال للانتقاد والإنقاص من قيمة شعره.

هـ- قصيدة وفاة عزيزين:

أنا فـي الروض ساهـــر وهو نائم بـات في قـرة الدجى وهو ناعم

كلمـــا جئتـــه وقلبـــــي بـاك رق دمعـــي كمائـــه فهو باسم

أبتغـــي فيـــه سلـــوة من مصاب لـــم يلطفـــــه عهـــده المتقام

يا لعزمـــــي من الأســـى ولحلمي أسعداني علـى الخطوب الغواشم

غلبتني صروف دهري على صبري وأفنتـــــه نـــــارها في الملاحم

الأمـــان الأمـــان ألقيـــت سيفي وطويـــــت اللـــواء تسليم راغم

خان عزمي الشباب واقتص ضعفي من ثباتي فكيـــف مثلـــي يقاوم

إن مـــن سيفـــه شبـــاب نضير فعيـــوب الشبـــاب فيـــه مثالم

والـــذي درعـــــه فـــؤاد رقيـق فجريـــح إن يقتحـــم أو يقاحم

* * *

أيهـــا الروض كـن لقلبي سلاما وملاذا من الشقـــــاء الملازم

[1] ميشال جحا: خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 228.

ما أقــر النــدى وما ألعــب النور وما اجــزع الظـــلال الحوائم

زهـــر ذابـــل كأنـــــي اره ثمـــلا من أنفســاه في الكمائم

وغديـــر صـــاف أقــام سياجا حرلـــه تباسـق من الدوح قائم

تتـــناغى بيــض من الطير فيه سابحـــات وتحتــها النجم عائم

كيفـــما ســـرن فالطــريق عقود نظمـــت من محاجــر ومباسم

حبـــذا البدر مؤنســـا يتجلى كحبيـــب بعـــد التغيـب قادم

حبـــذا رسمـــه البرايـا كأبهى ما ترى العيـن في صحيفة راسم

حبـــذا المـــاء والمصابيـح فيه كبنـــان يزينـــها بخواتـــم

جنـــة بانـــت المكـــارة عنها وهــي بكر من الأذى والمحـــارم

إنمـــا أهلهـــا طيـــور حسان إن دعاهـــا الصباح قامت تنادم

وضيـــــاء يموج في الماء حتى لتـــراه كأنـــه متلاطـــم

ومـــروج مدبجـــات كوشـــي أتقنـــت صنعه حسان المعاصم

وعصـــون تهـــزها نســـمات كمهـــود تهزهـــن روائـــم

* * *

هـــذه عزلتـــي أفـــر إليها من مجال الأسى ومجرى المظالم

ههـــنا أجتلـــي مثالـين باتا في سمـــاء صفت وراء الغمائم

ههـــنا ألتقـــي بطيفي حبيبي الدفينيـــن في فؤادي الواجـم [1]

و- مضمون القصيدة:

نظـم خليـل مطـران هـذه القصـيدة ليرثـي فيهـا المرحـوم يوسـف مطـران وزوجتـه بعـد أن غيـب المـوت زوجتـه أولا بسـبب مـرض أصـابها ثـم لحـق بهـا زوجهـا بسـبب الحـزن عليهـا يقـول مطـران فـي هـذا الصـدد " قـدم المرحـوم يوسـف مطـران مدينـة القـاهرة فـي شـهر جـوان 1895 م، تصـحبه زوجتـه شـقيقة القائـد الفرنسـي المشـهور " كـارو" فلـم يكـادا يسـتقران مـن عنـاء السـفر بـين "بـور سـعيد" و "مصـر" فـي يـوم شـديد الحـر حتـى شـعرت السـيدة بـالألم قضـت اسـتدعاء الطبيـب " [2] لكـن حضـور الطبيـب ليعالجهـا أسـهم فـي أن يعجـل فـي مـوت هـذه السـيدة، وذلـك حـين وصـف لهـا أدويـة مـن بينهـا دواء سـام فلمـا شـربت مـن تلـك الأدويـة توفيـت يقـول مطـران " فلمـا وصـف لهـا الطبيـب أدويـة بمـا فيهـا دواء سـام ناولهـا إيـاه زوجهـا بيـده خطـأ كمـا شـاء القـدر فلـم تعش بعد ذلك إلاّ أياما " [3]

ولهـذا نجـد فـي هـذه القصـيدة مـدى قـوة أثـر وفـاة الزوجـة علـى زوجهـا ولـم يصـبر علـى فراقهـا وذلـك لمـا كانـت هـذه الزوجـة تتصـف بـه مـن أخـلاق وبـر وإحسـاس وترفعهـا عـن الحيـاة الـدنيا يقـول مطـران " تلـك العقيلـة الفاضـلة وبرهـا بقرينهـا وتعاليهـا عـن الـدنيا " [4] لـذلك قضـى وفائـه لهـا بـأن لا يقبـل بـديلا عنهـا علـى الـرغم مـن أنـه كـان ذا جـاه وثـراء ومكانـة فـي الدولـة العثمانيـة لـذلك بقـي حزينـا عليهـا حتـى تـوفي، فرثـى الشاعر الفقيدين في هذه القصيدة يصور فيها مدى ألم ووجع الفراق.

---

[1] ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، دار مارون عبود، بيروت، د ط، 1977، ص 42 .

[2] المرجع نفسه، ص 41 .

[3] المرجع نفسه، ص 42 .

[4] المرجع نفسه، ص نفسها

ز- قصيدة نيرون:

هَكـذَا الْبَـاغِي عَلى جُبْنٍ بِهِ بَـدَأَ الْبَغْـيَ وَبِالْفَتْكِ تَضَرَّى
يَخْتِـلُ النَّـاسَ فُرَادَى فإِذَا أَجْمَعُـوا رَأْيـاً أَدَارَ الطَّعْنَ نَثْرَا
مَنْ يَجِـدْهُ مُمْكِناً أَصْمَى وَمَنْ لَـمْ يَجِـدْهُ مُمْكِناً مَنَّى فَأَغْرَى
مُسْتَطِيـلاً مَا اشْتَهَى فِي بَغْيِهِ قَائِـلا مَا اسْطاعَ لِلرَّأْفِة قصْرَا
غالَ مَنْ غالَ بِهِـمْ فِي شُبْهَةٍ بَلْ كَفَى أَنْ خالَ حَتَّى اقْتَصَّ وَغْرَا
وَادّعَى الْوِزْرَ وَقَاضَى وَقَضى غَيْبَةً إِنْ كَـانَ أَوْ لَمْ يَكُ وِزْرَا
وَبَنُـو رُومَـا سُجُودٌ حَوْلَهُ رُكَّـعٌ رَاضُـونَ ما سَاءَ وسَرّا
لَوْ عَلـوْا كَالمَدِّ فِي بَحْرٍ طَغى ثُـمَّ ظَنُّـوهُ لعَـادَ المَدُّ جَزْرَا
كُلَّمَـا كَفْكَفَـهُ نَاهِي النُّهَى عَـنْ أَذَاهُـمْ جَـرَّأُوهُ فَتجَرَّى
لَيْـسَ بِالتَّـارِكِ فِيهِمْ جُهْدَهُ لِسِـوَى أَعْوَانِـهِ جَاهـاً وَأَزْرَا
أَفسَـدَ الْقَوْمَ عَلـى أَنْفُسِهِمْ فَـإِذَا الأَخْفَـرُ مَنْ كَـان الأَبَرَّا
وَإِذَا الأَوْفَـى خَئُـونٌ وَإِذَا حَسَـنُ النَّكْـرِ قُبَيْـلاً سَاءَ نكْرَا
وَإِذَا كُـلُّ وَلاءٍ عَـامِـرٍ تَحْتَـهُ مَفْسَـدَةٌ تَحْـفُرُ حَفْرَا
ظَلَّ فِي الإِرْهَاب حَتَّى خَفَّ مِنْ قَذْفِهِـمْ فِي رُوْعِـهِ مَا كانَ وَقْرَا
فَانثَنَـى مُنْشَـرِحاً صَدراً كَأَنْ لَمْ يَجِيءْ مِنْ شُنَعِ التَّنْكِيـلِ صَدْرَا
كُـلَّ يـوْمٍ يَمْنَحُ الْجيْشَ حُبىً وَعَطَايَـا جَمَّـةً تُبْـذر بَذْرَا
كُـلَّ يَوْمِ يَصِلُ الشَّعْبَ بِمَا لَيْـسَ يُبْقِـي لاسْتِياءٍ فِيهِ حِبْرَا
كلَّ يَـوْمٍ يَنْتَدِي حَيْثُ انْتَدَى لِلْمَلاهِـي قَوْمُهُ صُبْحاً وَعَصْرَا
فَأَحَبُّـوهُ لِهَـذَا وَنَسُوا مَا بِهِـمْ حَلَّ مِنَ الأَرْزَاءِ غُزْرَا

وجـــرَى فِـــي كُلِّ شَوْطٍ آمِناً وَتَمَلَّى الْعَيْشَ بَعْدَ الخَـوْفِ طَثْرَا
أَخْطَـــــرَ الأَمْنُ قَلِيقُوْلاَ عَلى بَالِـــــهِ والْهَـزْرُ قَدْ يُعْقِبُ هَزْرَا[1]

* * *

فازَ نَيْرُونُ بِأَقْصى مَا اشْتَهَى مُحـــرِقاً رُومَـــــا لِيَسْتَبْـدِعَ فِكْرَا
بَعْـــتدَ أَنْ حَصَّـلَ فِي تمْثِيلِهِ مـــا بِهِ أَصْبَحَ فِي التَّمْثِيـلِ شَهْرَا
شُبَّـــتِ النَّـارُ بِهَا لَيـــلاً وَقَدْ رَقَدَتْ أَمَّتُـــهَا وَسْنـــــى وسَكْرَى
شُعْلَةٌ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ نَهَضَتْ وَمَشَـــتْ دَفّـــاً وَإِحْضـــاراً وَعَبْرَا
زَحَفـــتْ رَابِيَـــةٌ مُضْرَمَـةٌ تلْتَقِيـــــهَا فِي عِناقِ الوَهْجِ أَخْرَى
جَمَعَـــــتْ أَقْسَامَ رُوما كُلَّهَا فِي جَحِيمٍ تَصْهَرُ الأَجْسَامَ صَهْرَا
فالمَبَانِـــــي تتهَاوَى وَالجُـذَى تتزَامَـــى وَالدُّمَـــى تَنقَضُّ جَمْرَا
وَالأَنَاسِـــيُّ حَيَـــارى ذُهلٌ غامـــرُوا هَولاً وَسَاءَ الهَولُ غَمْرَا
خُـــوَّضٌ فِي الوَقْدِ إلاَّ نَفَـراً تَخِـذوا الأَشْلاءَ فَوقَ الوَقْدِ جِسْرَا
وَالضَّـــوَارِي انْطلَقَتْ لاَ تَأْتَلِي مَا الْتَقَتْ عَضّاً وَتمزِيـقاً وَكسْـرا
هَجَمَـــتتْ لِلفَتكِ ثُمَّ انهزَمـتْ فَزِعَـــاتٍ سَارِيَـــاتٍ كُل مَسْرى
كثـــرُ اللَّـــحْمُ شِوَاءً حَوْلهَا وَتَأَبَّـــتْ بَعْدَ جَهْدِ الصَّـوْمِ فِطْرا
تَتهَـــادَى مُهَرَاقـــــاً دَمُهَا وَبِهَـــــا ضَعْضَعَةُ النَّازِفِ خَمْرَا[2]

* * *

دَفَـــقَ التِّبْـــرُ ضِيَـــاءً وَدَماً مُسْتَفِيـــضَ اللّجِّ ياقُوتـــــاً وَتِبْرَا
كـــــانَ بِالأَمْسِ كَمِرْآةٍ صَفَتْ رُبَّمـــــا كَدَّرَهَا الطَّائـــــرُ نَقْرَا
تَلتَقِـــي فِيهَا صُرُوحٌ عَبَسَتْ قَاتِمَـــاتٍ وَرُبـــىً تَبْسِمُ خُضْـرا

[1] أحمد عبد المعطي حجازي: خليل مطران (قصائد اختارها وقدم لها)، ص 95 .
[2] المرجع نفسه، ص 98 .

فـــإذا مَرَّتْ نُسيْمَـــات بِهـا حطَّمتْـــهَا قـدَداً رُبْـــداً وَغُـرَّا
حَبَّـــذَا عِندَئِـــذٍ مَنْظَـرُهَا مَنْظَـــراً وَالتِّبْـرُ فِي الأَنهَارِ نَهْرَا
إِذْ تُرَى الأَمْواجُ فِيهِ أَعْرَضَـتْ مالِئـــاتٍ صَفحَاتِ المَـاءِ سِحْرَا
كجَـــوارٍ سَابِحَـــاتٍ خُرَّدٍ سَابِقـــاتٍ فِي تبَارِيـــهَا وَحَسْرَى
لاهِيَـــاتٍ مُغرِبَاتٍ ضَحِكاً آمِنـــاتٍ لَمَحَـــاتِ الرَّيْبِ طُهْرَا
أَرْسَـــلَ الْحُسْنُ عَلى أَكْتَافِهَا مِنْ ضَفِيـــرِ الزَّبَدِ المُذْهَبِ شَعْرَا
كُـلُ غيْدَاءَ رَدَاحٍ ناوَحَـــتْ بِيـــدٍ عَبراً وَبِالأَخْمُـــــصِ عَبْرَا
هِيَ نوْرُ الرَّوْضِ أَوْ أَزْهَى حُلىً وَهْيَ غصْنُ الرَّنْدِ أَوْ أَرْشَقُ خَصْرَا
تـــارَة تبْـــدُو وَطَوْراً لا تُرَى وَتَنَـــاهِي الظَّرْفِ إِذْ ترْفضُ ذرَّا
أَيْـنَ تِلْك الْعِيْنُ هَلْ حَالَتْ إِلى جِنَّـــةٍ وَارْتَـــدَّ بَرْدُ المَاءِ سَعْرَا
أَصْبَحَـــتْ سُود سَعَالٍ سَاقَهَا سَائِـــقٌ يُوسِعُـــــهَا حَثّاً وَنَهرَا
فِي مُســـوحٍ مِنْ قُتَـارٍ يُجْتلى أُرْجُـــوَانٌ تَحتَهَا مِنْ حَيْثُ تُفْرى
عَـــاد صافِي اللَّونِ مِنهَا رَنِقاً وَضَـــحُوكُ الْوَجْـــهِ مِنْهَا مُكفَهِرَّا
شَرِقَـــتْ لِماتُـــــهَا أَصبِغَةً وَرِنَـــتْ أَعْيُنُـــهَا النَّجْلاءُ خُزرَا
صَـــارَ غِسلِيناً حَمِيماً غِسْلُهَا كَاسِـــباً مِن حَرِّ مَا جَـاوَرَ حرَّا
أَيْ بنـــــاتِ المَـاءِ غَبْنٌ بَيِّنٌ أَنْ تُـــرَى سُوداً وَمَا أَبْهَاكِ شُقْرَا
ذَاكَ مَـــا أَحْدَثَـــهُ الْبَغْيُ وَهلْ أَدْرَكَ الصَّفْـــوَ فلَمْ يَرْدُدْهُ كَـــدْرَا [1]

* * *

كـــلُّ قصْـــرٍ مُتَدَاعٍ شَيَّدَتْ بَعْـــدَهُ هَازِئَـــةُ الأَنْوَارِ قَصْرَا
كُـــلُّ بُرْجٍ مُتَـــرَامٍ حَفَـــرَتْ بَعـــدَهُ فِي عُمُقِ الظَّلْمَـاءِ بِئْرَا
كـــلُّ كِثْرٍ فِي المَبَانِي رَفَعَتْ فوْقَـــه سُخْرِيَـــة الشَّعْلولِ كِثْرَا

[1] أحمد عبد المعطي حجازي: خليل مطران(قصائد اختارها وقدم لها)، ص 101 .

هَـــوَتِ الْعِقبَانُ عَنْ أَنْصَابِهَا وَغـــــذا مِنْهَا اللَّظى رُخّاً وَنَسْرَا
وتَـــرَامَتْ شُعَـــلٌ طائِـــرةٌ قد تَرَى عُصْفُورَهَا يَصْطَادُ صَقْرَا
وَتـــرَى مِنْـــهَا فرَاشاً نَاحِلاً يَضْـــرِبُ الْبَاشِقَ أَوْ يَهْدِمُ وَكْرَا
وتـــــرَى مِنْـــهَا هُلاماً بَشِعاً غائِـــــلاً فَرْخاً وَلا يَرْحَـــمُ ظِئْرَا
وَيْـــــحَ رُوما تَزْدَهِي ذَاكِيَةً وَعُيـــونُ اللَيْلِ بِالرحْمَةِ شَكْـــرَى [1]

* * *

فِتَـــنُ النَّارِ إِذَا مَا أَذْهَبَـــتْ فِي أَفَانِيـــنِ الأَذى يَأْبَيْنَ حَصْرَا
وَمِـــنَ المُمْتِعِ فَوْقَ المُشْتهى بِـــدَع جَاءَ بِهَا التنْوِيـــــعُ تَثْرَى
هَـــذِهِ قِنْطـــــــــرَةٌ شاهِقَةٌ غـــارَ مِنْهَا جَانِبٌ فِي المَاءِ طَمْرَا
ذَاكَ صَـــــرْحٌ جُرِّدَتْ أَطْلالُهُ مِـــنْ حُلِيٍّ كُن مِلْءَ الْعَيْـــنِ سَبْرَا
تِـــلْك مِنْ عَهْدٍ عَهِيدٍ دَوْحَةٌ ظَـــلَّ يَسْقِيـــــهَا سَحَابُ الْعَفْوِ ثَرا [2]

* * *

دَرَتِ الأُمـــــةُ مَن ظالِمُهَـــا كلَّمـــا جَرَّ عَلَيْهَا الظُّلْـــــمُ دَفْرَا
وَعَلـــى ذَاك تَغَابَـــــتْ مَرَّة بعْـــدَ أُخْرَى وَتَمَـــادَى مُسْتَشِرًّا
لَوْ أَرَادَ القِسْـــــط لَم يَكْفُؤْ لَهُ أَو تَصَـــدَّى لِلوَغى لَمْ يَحْمِ ثغْرَا
فاتَـــهُ فِي نَفْسِـــهِ السِّرُّ الَّذِي يَمْنَـــحُ الدائِـــلَ مَجْداً مُسْتَمِرا
فَتوَخَّـــــى الفخْرَ مِنْ سُخرِيَةٍ مَثَّلَ الدهْـــرَ بِهَا هُزْءاً وَهَـــزْرَا
لاهِياً بِالنـــــــاسِ قتالاً لِمَنْ شَاءَ فَعَّـــالاً لِمَا اسْتَحْسَـنَ جَبْرَا
لاعِبـــاً حَتَّى إِذَا ضَـــاقَ بِهِ مَلْعَـــبُ الدُّنْيَا تَخَطـــــاهُ وَمرا
فقضَى حِينَ اقْتَضَـــى مُنتَحِراً بِيَـــــدِيْ مسْتأْجَـــــرٍ أَوسِعَ بِرَّا

[1] أحمد عبد المعطي حجازي: خليل مطران(قصائد اختارها وقدم لها)، ص 102 .
[2] المرجع نفسه، ص 105.

رَاكِـــباً مَتْـــــنَ النَّوَى لمَّا نوَى ضَارِباً بَيْـنَ غَدٍ وَالامْسِ سِتْرَا
مُلْقِيـــاً جِسْمـــاً إلى أَمِتـــهِ خَشِيَـــــتْ حِرْمَانَهُ دَفْناً وَقبْرَا
سَـــرَفاً فِي الذُّلِّ حَتَّـــى إنهَا لَمْ تَكُـــنْ تَدْرِي لِمَا تَفْعَلُ قَدْرا
مَـــنْ يَلُـــمْ نَيْرُونَ إني لائِمُ أُمَّـــةً لوْ كَهَرَتْـــهُ ارْتَدَّ كهْرَا
أُمَّـــةٌ لَوْ نَاهَضَتْـــــهُ سَاعَةً لانتهَـــى عَنْهَا وَشِيكاً وَاثْبَجَرَّا
فـــاز بِالأُولـــى عَلَيْـها وَلَهُ دُونَـــهَا مَعْذَرَةُ التَّارِيخِ أُخْرَى

* * *

كُـــــــلُّ قَوْمٍ خَالِقُو نَيْرُونِهِمُ قَيْصَـــرٌ قِيلَ لَهُ أَمْ قِيلَ كِسْرَى [1]

ي- مضمون القصيدة:

ألقـى خليـل مطـران هـذه القصـيدة فـي حفـل أقامتـه جمعيـة الآداب العربيـة بالجامعة الأمريكية ببيروت.

وكانـت هـذه القصـيدة تجربـة لـه فـي كتابـة القصـائد المطـولات وتعـد مـن أهـم انجازاتـه الشـعرية، حـاول مـن خلالهـا أن يثبـت قدرتـه علـى كتابـة مئـات الأبيـات مـن قافيـة واحـدة وروي واحـد فحسـب بـل لأنهـا تثبـت حاجـة الشـعر العربـي إلـى التخفـف مـن قيـد القافيـة الواحـدة، فخليـل مطـران ينظـر إلـى الالتـزام بقافيـة وروي واحـد هـي قيـد للشـاعر فهـذا السـبب جعـل مـن الشـعراء العـرب لا يسـتطيعون نظـم قصـائد مطـولات كبـرى فـي الموضـوع الواحـد مـا جعـل مـن الشـعر العربـي يفتقـد إلـى هـذا النـوع مـن القصائد.

لـذلك دعـا الشـعوب العربيـة وجميـع الإخـوان النـاطقين بالضـاد إلـى ضـرورة نهـج مناهج أخرى لمجاراة الأمم الغربية فيما وصلت إليه من رقي في نظم الشعر.

[1] أحمد عبد المعطي حجازي: خليل مطران(قصائد اختارها وقدم لها)، ص 114 .

فهو يرى أن أغراض الشعر قليلة محدودة وهي صالحة لأوقاتها السالفات وغير صالحة للزمن الذي نعاصره فهي متخلفة عن موكب التطور وغير قادرة على النهوض بالشعر العربي، ولهذا فهو يقول في مطولته الكبرى نيرون " بل قد أقول وليتني أوفق، في بعض ما استنشده إلى إقامة دليل، وإن قل في شعري، على أن اللغة العربية التي تجود علينا هذا الجود، وأيديها مغلولة عن العطاء بتلك الأغلال الثقيلة، قادرة – متى فكت عنها الربط – على فتح أبواب كنوزها التي لا نهاية لها، ومنح شعرائها – من فرائد المفردات وبدائع الجمل وروائع الاستعارات – ما يبقى لها المقام الأول في الإعجاز " [1]

إذن فخليل مطران يريد من خلال قصيدته هذه أن يثبت حاجة الشعر العربي إلى التخفف من القافية. فقد نظم مطولته "نيرون" التي تتألف من ثلاثمائة وأربعين بيتا أو حوالي ذلك، فهي أكبر قصيدة متحدة الروي ومتحدة الموضوع عرفتها العربية، فيها كلمات تحتاج إلى تفسير دعت الضرورة إلى استعمالها.

وموضوع هذه القصيدة "نيرون" سيرة ذلك العاتي، ووصف ما أتاه من المنكرات وفيها أقتم ما سيود به قرطاس مساوئ حكم الفرد، ذلك الطاغوت الذي يزداد بطيشه يوم بعد يوم على عامة الناس، كما يصف فيها شره وسوء خلقه فهو أكبر رجال الحكم عرفه التاريخ ظلما واستبدادا.

رابعا: دلالة الماء وتجلياته في شعر خليل مطران.

وظف الشاعر خليل مطران لفظة الماء في قصائده لكن بصفات وأسماء مختلفة تحمل في معانيها دلالات متعددة.

[1] أحمد عبد المعطي حجازي: خليل مطران (قصائد اختارها وقدم لها)، ص 26 .

فنجده في قصيدة " المساء " وظف لفظة " البحر " و "الموج" حيث جاءت في سياقات مختلفة وتتجلى دلالاتها في:

أ. دلالة على الطمأنينة والسلام والإصغاء: حيث يقول :

شاك إلى البحر اضطراب خواطري فيجيبني برياحه الهوجاء [1]

فالشاعر في هذا البيت يصور البحر بأنه الملجأ والملاذ الوحيد الذي يسمعه ويحس به فهو يطرح شكواه إلى البحر من آلام وأحزان وضيق بسبب مرضه وبعده عن حبيبته التي كانت فارقته، فالبحر يخفف عنه حزنه ويؤنسه بدليل أن البحر يجيبه عن طريق نسماته ورياحه الهوجاء.

ب. دلالة الماء على القسوة: يقول خليل في هذا الصدد:

ينتابها موج كموج مكارهي ويفتها كالسقم في أعضائي [2]

في هذا البيت نجد تغيرا في نظرة الشاعر اتجاه البحر فبعد أن كان سلاما وطمأنينة أصبح قاسيا لا رحمة فيه لأن أمواجه تقسو على الصخر بحيث تكاد تفتتها وذلك نفس الشيء عند مطران الذي خرب المرض أعضاءه والحب أفنى قلبه وبالتالي فالشاعر هنا يشبه قسوة الأمواج على الصخر كقسوة المرض الذي خرب جسمه وكذلك قسوة البعد والفراق عن الحبيبة.

ج. دلالة على الحزن والضيق: يقول خليل مطران:

والبحر خفاق الجوانب ضائق كمدا كصدري ساعة الإمساء [3]

---

[1] سمر سرحان ومحمد عناني، المختار من شعر خليل مطران، ص 53 .

[2] المرجع نفسه، ص نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص نفسها.

من خلال هذا البيت نجد خليل مطران يصور حالته النفسية التي يعمها الحزن والضيق من خلال صورة البحر وقت غروب الشمس الذي يعمه الهدوء والسكينة وكأن الحزن يخيم فيه.

بالإضافة إلى هذا نجد مطران قد وظف عنصر الماء في قصيدته " وفاة عزيزين " بعدة ألفاظ "كالدمع" و "الندى" و "الغدير" وهي ألفاظ تحمل دلالات عدة:

د. دلالة على الجمال والصفاء: يقول الشاعر في البيت الحادي عشر من قصيدته وفاة عزيزين:

ما أقرّ النّدى وما ألعب النور وما أجزع الظلال الحوائم [1]

هنا توظيف للفظة الندى لأن خليل مطران قد شبه هذين العزيزين بقطرات الندى فهي تأسر القلب بصفائها وجمالها في الطبيعة وكذلك الزوجين فقد أبهرا خليل مطران بأخلاقهما العالية وبساطتهما على الرغم من كونهما ذو مكانة راقية في المجتمع فهما يشبهان قطرات الندى في الصفاء والنقاء، فكل من يعرفهما يعجب بالأخلاق والصفات الحميدة التي يتمتع بها كل منهما، فهما يوقعان كل شخص يعرفهما أسير حبهما.

هـ. دلالة الماء على اللقاء ومكان الالتقاء: يقول في البيت الثالث عشر:

وغدير صاف أقام سياجا حوله باسق من الدوح قائم [2]

وظف خليل مطران لفظة الغدير للدلالة على أنه مكان لقاء هذين الفقيدين بعد وفاتهما أين شبههما الشاعر بالطير البيض وهي تسبح في الغدير فهو يعتبره مكان للقاء الأحباء وذوي القلوب الصافية والرقيقة التي تتمتع بالصفاء والنقاء كالطيور.

[1] ديوان خليل مطران، ص 42 .

[2] المرجع نفسه، ص نفسها.

و. **الماء وسيلة وأداة للجمال:** يقول خليل في البيت الثامن عشر:

حبّـــذا الماء والمصابيـــح فيه كبنـــــان يزينهـــــا بخواتـــم [1]

استعمل الشاعر لفظة الماء للدلالة على الجمال الذي يضفيه الماء على الرسم وهو يقصد هنا بالرسم الذكريات التي يحملها عن عزيزيه حيث أنه شبه هذين العزيزين بالماء الذي تزينه المصابيح، لذلك جعل من ذكرياته كالماء ويوسف مطران وزوجته كالمصابيح التي تزينها.

ز. **الماء مجسدا ومشكلا طيف الأحبة:** يقول خليل مطران في هذا الصدد:

وضيـــــاء يموج في الماء حتى لتـــــراه كأنـــــه متلاطـــم [2]

استخدم الشاعر في هذا البيت لفظتي الموج والماء للدلالة على المكان الذي تجسد فيه طيف كل من يوسف مطران وزوجته وهذا ما يعبر عن اشتياقه الشديد لهما فراح يصورهما ويجسدهما على شكل ضياء تتلاعب به أمواج البحر.

ك. **دلالة الماء على الحزن والألم:** في البيت الثاني من قصيدة "وفاة عزيزين" وظف خليل مطران لفظة الدمع قائلا:

كلـــــما جئتـــــه وقلبي بـــاك رقّ دمعـــــي كمائـــــه فهو باسم [3]

وهذا من أجل تصوير حالته النفسية ومدى ألمه وحزنه الشديد على الفقيدين اللذين كانا عزيزين على قلبه، فقد أشعل موتهما جمرة الأسف والحرقة في صدره، كما تركا فراغا كبيرا في حياته، فكان تشبيه لغزارة دمعه كغزارة الماء في الروض.

---

[1] ديوان خليل مطران ص 42.

[2] المرجع نفسه، ص نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص نفسها.

أما في قصيدته "تهنئة" التي كانت عبارة عن رسالة بعث بها مطران إلى الخذيوي عباس الثاني فقام بتوظيف كل من لفظة المياه، الوادي، النيل زهي كلمات تحمل دلالتان:

ل. **دلالة على الفخر والافتخار**: من خلال البيت التاسع لهذه القصيدة نلاحظ أن خليل مطران يفتخر برجال دولته:

أهلا برب النيل والوادي فيه من الأرياف والأقطار [1]

فهو هنا استخدم كلمة النيل والوادي للدلالة على ما يتميز به الخذيوي عباس من قوة وشجاعة مكنته من السيطرة على النيل حتى أصبح ربا له وأن جميع الوديان التي توجد في جميع الأقطار تسير بأمره وهذا ما جعل مطران يعجب ويفخر به.

مـ. **دلالة على الخضوع والانقياد والطاعة:** يقول مطران:

النيل عبدك والمياه جواري باليمن والبركات فيه جوار [2]

في هذا البيت دلالة على خضوع نهر النيل للخذيوي عباس فبالرغم من كونه أكبر و أطول الأنهار في العالم إلاّ أنه قد أصبح عبدا مملوكا عنده خاضع له وأن مياهه كلها خادمة له تجري بأمر منه وهذا ما يدل على قوته وسيطرته ونفوذه.

بالإضافة إلى هذه القصائد نجد قصيدته المطولة "نيرون" الذي تحدث فيها عن ذلك الرجل الطاغي الذي أحرق روما موظفا لفظة الماء ومختلف صفاتها كالمد والجزر والأمواج والأنهار والغسلين وهي تحمل في طياتها دلالات متعددة:

[1] ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 24 .

[2] المرجع نفسه ، ص 25 .

نـ. الماء دلالة على البطش والطاغوت: حيث يقول مطران في هذا الصدد:

وبنـــو "روما" سجـــود حوله ركـــع راضون ماساة وســـرّا

لو علـــو كالمد في بحر طغى ثم ظنـــوه لعاد المد جـــزرا [1]

ففـي هـذه الأبيـات نجـد خليـل مطـران قـد صـور لنـا بطـش نيـرون الـذي هـو حـاكم "روما" فقد شبه مطران غضب نيرون بالبحر الذي يكون في حالة المد والجزر الذي يطغى على كل شيء محطما مهدما كل ما يجد أمامه فكذلك نيرون الذي يجعل بنو "روما" سجودا حوله راكعين أمامه راضون بما يأمر سواءا كان سيئا أو جيدا.

صـــ . المـــاء دلالـــة علـــى المأســـاة والظلـــم: يصـور مطـران الحالـة المأسـاوية التـي يعيشـها شـعب "روما" والظلـم الـذي يتعرضـون لـه مـن حاكمهـا نيـرون الـذي لا يعـرف في حياته معنى العدالة والرحمة وهذا ما جاء في هذين البيتين حيث يقول مطران:

صار غسليـنا حميما غسلها كاسبـــا من حر ما جاور حرّا

أين بنـــات المـــاء غبن بين أن تزّ ســـودا وما أبهاك شقرا [2]

فقـد وظـف مطـران لفظـة غسـلينا حميمـا وهـو المـاء الشـديد الحـر أي أن خليـل مطـران شـبه ظلـم وجبـروت هـذا الحـاكم الطـاغي والغاشـم الـذي لـم يسـلم مـن بطشـه أحـد بهـذا المـاء الـذي لا يسـلم مـن حـره شـيئا فهـو إذا مـر علـى منطقـة جعلهـا قاحلـة لا تـرى فيهـا إلا السـواد فكـذلك هـذا الحـاكم إذا حكـم منطقـة إلا وسـاد ظلمـه وجعـل شـعبها يعاني العذاب والظلم المستمر، حتى تصبح حياة هذا الشعب سوداء لا نور فيها.

[1] أحمد عبد المعطي حجازي، خليل مطران، ص 95 .

[2] المرجع نفسه ، ص 101 .

ع. دلالة الماء على النار: يقول خليل مطران:

أيــن تلك العين هل حــالت إلى جنـــة وارتد بــرد الماء سعرا

أصبحـــــت سود سعال ساقها سائــق يوسعهــا حثا ونهرا [1]

وردت فــي البيـت الأول لفظـة العـين التــي كانـت تسـقي وتـروي أبنـاء شـعبها وهـذا تصـوير "لرومـا" قبـل مجـيء الحـاكم "نيـرون" والتـي كـان شـعبها يعـيش فـي عـز وكرامـة وكأنهـا جنــة علــى وجــه الأرض ولكـن هـذه العـين التــي كانـت تسـقي العطشــى وتمـنح الحيـاة للشـعب تحـول ماؤهـا البـارد إلـى وقـود يزهـر النـار حيـث يمـر وهـذا تشـبيه لرومـا بعـد مجــيء نيـرون الـذي حـول حيـاة شـعب بأكملــه إلــى جحـيم يعـيش حيــاة مظلمــة يعمها الفقر والجوع والدمار والخراب.

[1] أحمد عبد المعطي حجازي، خليل مطران، ص 101 .

خاتمة

هكـذا نـأتي إلـى خاتمـة هـذا البحـث ويمكننـا القـول أن مصـطلح الشـعرية يعتبـر إشـكالية محيـرة فـي نظـر البـاحثين والدارسـين سـواء عنـد الغـرب أو العـرب قـديما وحـديثا وهـذا لكـون الشـعرية لـم يمـنح أو يعطـى لهـا مفهومـا معينـا وخاصـا بهـا، فهـي تعـرف عند كل ناقد أو باحث حسب نظرته ورؤيته الخاصة لها.

إذن فالشـعرية عنـد بعـض النقـاد هـي ذلـك المجمـوع مـن الخصـائص والمميـزات التي تجعل من العمل الأدبي عملا أدبيا جماليا وتعطيه الفرادة والتميز.

وراح الـبعض الآخـر مـن النقـاد يعرفهـا بأنهـا تلـك اللغـة المجازيـة التـي تتجسـد فـي الـنص الأدبـي حيـث تجعلـه نصـا متعـدد التـأويلات والاحتمـالات وذلـك نتيجـة الغمـوض الفنـي الـذي يتجسـد فيـه، وبـذلك تصـبح وظيفـة الشـعرية وميزتهـا هـي الانحـراف عـن اللغة العادية إلى اللغة الفنية.

الشـعرية عنـد خليـل مطـران ارتبطـت بالأفكـار الواقعيـة وأخـذت طابعـا اجتماعيـا وقوميـا إنسـانيا حيـث بـرزت شـعريّته مـن خـلال توظيفـه للفظـة المـاء ومختلـف معانيهـا وصـفاتها كـالمطر، الـدمع، البحـر، الغـدير .....إلـخ، حيـث جسـدت مـدلولاتها فـي عـدة صور هي:

– جسـدت القـيم الإنسـانية المهـدورة فـي إشـكالها وأكـدت ضـرورة تجـاوز الإنسـان للمأساة عن طريق الوعي ومجابهة الظروف التي أدت إلى قيامها.

– كانت صرخة في وجه البؤس الاجتماعي والتسلط الاستغلالي.

– كمـا بـدت صـورة لمعانـاة الشـعوب مـن الحـروب ومخلفاتهـا كالتشـرد، الفقـر، الأميـة وشتى ألوان الاضطهاد السياسي.

وأخيرا الماء عند خليل مطران هو تعبير عن معاناته النفسية والجسدية من حزن وفراق ومرض.

وما يروعنا في شعر خليل مطران تلك الثورة الفكرية وتلك الغزارة المعنوية وذلك العصف الفكري والعاطفي المرهف وتلك اللفظية المعبرة عن الثورة الحياتية المتفجرة.

وهكذا فخليل مطران هو ذلك الشاعر المقلد المجدد الثائر على الظروف السياسية والاجتماعية الداعي إلى التحرر من قيود و أغلال الاستعمار والاستبداد.

وفي الأخير أمنيتنا أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا وأن تكون ثمرة جهدنا طريق مفيد لما يأتي بعدنا.

قائمة المصادر

و المراجع

المصادر:

خليل مطران ، الديوان ، الجزء الثالث، دار مارون عبود، بيروت، (د ط)، 1977.

المراجع:

1- إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الميسرة، عمان، ط2، 2007 .

2- أحمد عبد المعطي حجازي : خليل مطران ، قصائد اختارها وقدم لها، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 2009 .

3- حفناوي رشيد بعلي: حفريات في الأسطورة، دروب للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011.

4- حسن ناظم: مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994 .

5- حميد حماموش وأحمد العلوي العبدلاوي: آليات الشعرية بيت التأصيل والتحديث، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013 .

6- سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث (الشعر)، دار الميسرة، عمان، ط1، 2014.

7- سحر سليمان الخليل : كتاب خاص في الأدب العربي الحديث، دار البداية، عمان، ط1، 2010 .

8- سمر سرحان ومحمد عناني: المختار من شعر خليل مطران، مكتبة الأسرة، مصر، (د ط)، 1999 .

9- عماد علي الخطيب: الصورة الفنية أسطوريا، دار جهينة، عمان، (د ط)، 2013.

10- فاضل بنيان محمد: الطبيعة في الشعر العربي، دار غيداء، عمان،(د ط)، 2013 .

11- محسن جاسم الموسوري، الأدب العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2010 .

12- محمد مصطفى هدارة: بحوث في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت،(د ط)، 1994.

13- محمود درابسة: مفاهيم الشعرية، دار جرير، الأردن، ط1، 2010.

14- ميشال جحا: خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، بيروت، ط1، 1981.

15- ناصر لوحيشي: الرمز في الشعر العربي، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009 .

الفهرس

الفهـــرس

مقدمة.....أ

تمهيد.....4

أ- التعريف بالشاعر خليل مطران.....4

ب- المؤلفات الشعرية عند خليل مطران.....7

الفصل الأول: الشعرية مفاهيم ومصطلحات

أولا: مفهوم الشعرية.....11

أ. مفهوم الشعرية عند النقاد الغربيين.....11

ب- مفهوم الشعرية عند النقاد العرب.....13

1. الشعرية عند النقاد العرب القدامى.....13

2. مفهوم الشعرية عند العرب المحدثين.....15

ثانيا: الظروف الاجتماعية والسياسية التي عاصرها خليل مطران.....16

1 . الظروف الاجتماعية..... 17

2 . الظروف السياسية.....18

ثالثا: الموضوعات الشعرية عند خليل مطران.....21

الفصل الثاني: رمزية الماء في الشعر العربي

أولا: الرمز.....27

أ- تعريفه.....27

ب- أنواعه.....28

ثانيا: شعرية الماء في القصيدة العربية.....28

أ- شعرية عنصر الماء في الشعر العربي القديم.....28

ب- شعرية عنصر الماء في الشعر عند المحدثين والمعاصرين.....34

ثانيا: نماذج شعرية لخليل مطران.....39

أ- قصيدة المساء.....39

ب- قصيدة تهنئة.....41

ج- قصيدة وفاة عزيزين.....43

د- قصيدة نيرون.....46

رابعا: دلالة الماء وتجلياته في شعر خليل مطران.....51

*خاتمة.....59

قائمة المصادر والمراجع.....62

الفهرس.....64